الكتاب: لينتادا

المؤلف: روان صابر

الغلاف: حسن العربي

تدقيق لغوي: عبدالعليم مِنا

تنسيق داخلي: عبدالعليم مِنا

الطبعة الأولى: ٢٠٢١

رقم الإيداع: 2021/67082

الترقيم الدولي: 5-707-8416-0401-106

المدير العام: مروة المصري

التليفون: 01100528522

لمراسلة الدار: darnebogh@gmail.com

الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر الكاتب ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار.

جميع الحقوق محفوظة ©

نبوغ للنشر والتوزيع

لينتادا

رواية

روان صابر

دار نبـــوغ للنشر والتوزيع

الإهداء . . .

"للعثرات التي قادتني لأن أمسك القلم وأخطها، وإلى نفسي التي صمدت معي للآن".

****

إهداء إلى...

- إلى عائلتي الصغيرة الكبيرة.
- إلى الجزء الذي لا يتجزأ منها، رفقية دربي وسهري وحزني (أماني صلاح).
- إلى من بعثت بداخلي الأمل في أن أنجز هذا العمل، (ملك محمد سيف).
- إلى كل ما أملك، الحصن الذي ألجأ إليه دومًا، (دنيا و فريدة).
- إلى من دفعتني في أول خطواتي، (إسراء ربيع).
- إلى عائلة حروف مضيئة، حرفًا تلو الآخر، شكرًا حد السماء.
- إلى كل من قرأ لي حرفا، ممتنة للطفكم الدائم.

المقدمة....

تبًا للمقدمات، نحن في عصر السرعة، فقط دعني أتمنى ألا تندم لشرائك إياها.

****

(١)

في ليلٍ حالك من ليالي البرد القارس، يكمن شاب في شرفة غرفته، يعتلي الحزن ملامحه وكأنه استوطن قلبه، إثر تنهيدة واحدة منه قادرة لأن تبدأ العصافير بالنواح، وأن تذيب الجليد المتجمد بعين أحدهم، وكفيلة لتحطيم قلب كل من سمعها، وبينما يتفقد هاتفه بعد ما يأس من خياله وأحلامه القابع بداخلها، إذ بصورة فتاة تكاد قد انشقت من القمر أظنها احتلت قلبه بلعنة عينيها وترسخت ملامحها في عقله، لم يدرك كم من الساعات أهدرت وهو غارق في تفاصيل وجهها، وفجأة يحدث أكثر أمر يطمح إليه هذا الشاب الوسيم، إذ بصورة الفتاة تظهر مرة ثانية ولكنها هذه المرة تهاتفه، تسلل الخوف لقلبه وبدا التوتر ينبض من وجهه وصار شاحب الوجه، ثم أجابها بصوت متذلل مفعم بالحب:

_ألين؟

إنها المرة الأولى التي تهاتفه هي، دائما هو من يبادر بالاتصال وربما كان أهدر وقته بالنظر لصورتها ونسيّ مهاتفتها.

_لما لم تهاتفني اليوم؟

وقعت تلك الكلمات المفعمة بالرقة على سمعه وقعة جعلته كالأبكم، فقد كُبل لسانه فأبت الكلمات أن تتجاوز حدود ثغره، ثم أجابها بصوت تخلله التوتر قائلًا:

_كنت على وشك أن أفعل.

_حقًا!

_إنها الحقيقة.

فتجيبه هي بصوت مفعم بالاهتمام.

_ما بال صوتك، أأنت على ما يرام؟

فيجيبها مسرعًا.

_بخير، بخير، لا تكترثين لأمري.

شعرت أميرتنا أن هناك خطب ما حل به، ولكنها لم تشأ أن تهلكه أكثر فهمت بصوت تملأه اللهفة

_ كدت أنسى، والدتي تدعوك لتناول الطعام غدًا، لا تتأخر عن الموعد.

_حسنًا لن أتأخر

أجابها ومن ثم أغلق، وهم ليعود لعزلته ولذكرياته وأوهامه، يبدو أنه أغرم بها منذ زمن، قلبه صار هشًا أمامها، فقد ألقت عليه لعنتها، يا لها من لعنة يا إلين.

****

أراس

كانت ضحكتها تبحر بي إلى كل بحار العالم، تمحي ما بي من حزن، تجعل الورد يتفتح، ويعم الدفء على قلبي، حتى في بداية شهر أمشير، وعند النظر لعينيها أشبه الغواص الذي انتزعت منه أنبوبة الأكسجين التي يحملها، ويبدأ بالغرق كلما أزالت عينيها عنه.

تعرفت على إلين منذ زمن بعيد، منذ أن بصرت عيني على هذا العالم الذي لا أرى فيه شيء سواها.

ألين في اللغة تعني أجمل نساء العالم، وهي كذلك لا أجملها ولا أقول ما ليس فيها فأنا لن أفيها حقها ولو جُمعت أشعار نزار قباني بكلماتي، كيف

ل ألين ألا تكون أجمل نساء العالم وقد استوطنت قلبي!، واحتلته ببراءتها وعفتها، احتلت قلبي القابع بمضجعه الذى لا تعتره ريح ولا يمسه ضرر، هناك مقولة تقول "لكل منا نصفه الآخر"، إلين جاءت لتجعلني أبكي على أطلال تلك المقولة وتجعلها هباء؛ فهي الكل وأنا اللاشيء، يكفي أنك لو وقعت عنينك عليها ستحل عليك لعنتها قبل أن يفطن عقلك بأمر اللعنة، بل أقول لك أنك لو رأيتها لن تكترث لأمر تلك اللعنة، عينيها تلك الممتزجة بلون القهوة ورغوتها إن وقعت عينيك عليها ستقع بداخل بحر عينيها غريق وستظل هكذا مكبل أسير تحت رحمة قلبها.

كان حبي ل ألين حب لعين ذاك الحب الذى يجعلك ضعيفًا، هائمًا، يائسًا، لا تعلم معنا للسعادة بدونه، هو أشبه بالقتل حرقًا بالنيران؛ رغم شدة تألمك وشعورك بكل الآلام في آن واحد حتى تصبح غير قادرًا على تحديد موضع الألم، لا تمت فورًا، وهكذا هو؛ فلا تمت مشاعرك رغم أنك تحترق من شدة الآلام التي حلت على قلبك، حتى صار رمادًا،

وعندما تخمد النيران ويهدأ أنين الخشب بعد احتراقه وقتها فقط، يموت حبك مع موتك أنت أيضًا.

الموت بالحرق أسوأ ولكن الأسوأ هي حالتي؛ لم تكن علاقتي ب ألين مجرد حب من طرف واحد بل كنت كالذي وقع في عشق أخته، لا يستطيع الكف عن حبها، ولا يجوز له الزواج منها، كانت تراني أخًا لها طيلة الوقت، ولكني أنا لا، لم أرها كأخت لي يومًا، أرها فقط حبيبتي الدائمة وحلمي المستحيل.

لا أعلم إن كنت سأشفى من مرارة حبها يومًا؟، سيلين قلبها لي بعد كل تلك السنوات؟، التي قضيتها ليلًا نهارًا أعمل على حبها فقط، هناك حقيقة واحدة أعرفها وهي أنني لم أتمكن يومًا من عشق غيرها.

لم تشعر بي يومًا، وكأنها لا تملك عقلًا لتدرك به أنني أحبها، ربما كانت كالصماء التي لا تستمع لتسارع ضربات قلبي في محياها، أو بالنظر لعينيها لوهلة، أو ربما كانت كالتي فقدت بصرها فلم ترى يومًا عيني وهي تبوح لها بحبي لها، تتعامل وكأنها لا تعلم شيئًا عن حبي، تقصيني بعيدًا عن قلبها، ولكني كنت متيقنًا أنها تعي بهذا الحب كما تعي اسمها.

كيف ل ألين أن تحب شخص مثلي يرتجف أمامها، ويقف منبهرًا أمام ضحكتها، أظن أنني لست مثاليًا بالقدر الذي يتيح لي فرصة امتلاك قلب تلك الملكة، لم أجد يومًا أحد يستحقها، وإن وجدته فلن أسمح له بالاقتراب منها قدر شعرة واحدة.

بدأت بذكرها لأنها الكل وسأبدأ الآن باللاشيء.

أدعى أراس، تجاوزت الخامسة والعشرون عام، كاتب ولم أكتب يومًا حرف واحدًا لشيء سواها، أرتمي غريقًا بين الكلمات التي ترسم وصفها، فهي بمثابة حضن منيع أبعثر أحرفي حوله، لا تكف أحرفي عن وصفها ولا يتهدم الحصن، كيف أكتب عن شيء سواها وقد احتلت عقلي وجعلتني أعجز عن الوصف أو التفكير بغيرها، كيف لي أن أكتب عن شيء وهي الكل، كيف؟، بالله كيف؟.

****

ألين

لم تكن حياتي كما تبدو للبعض، كنت أبعثر هنا وهناك، أبعثر في الأشياء التي تسعد قلب من حولي لعلها تكون سببًا لسعادتي أنا أيضًا، كانت الآلام التي لا أعرف ماهيتها حتى الآن تستوطن جوفي، تجعلني أضطرب، أشعر دومًا أنني لست على ما يرام، فقد تجاوزت تجارب بائسة كادت تقضي على في كل مرة، مرورًا بانفصال أبي وأمي عندما لم أتجاوز السادسة من عمرى، خذلان الأصدقاء واحدًا تلو الأخر، تمزق قلبي من الحزن إربًا إربًا، تجسد بداخلي أسوأ صورة عن هذا العالم المبهم، الكئيب، الغامض، وفي كل مرة كانت تتعرقل قدمي وقبل أن أسقط أرضًا إذ بيد تمتد لي تخبرني أنني لست وحيدة، يأتي أراس ليجذبني من فوهة البئر المعتم الذي كاد أن يبتلعني، فيسكن بوجوده عضبي، يذهب خوفي، يهدئ روعتي، ويؤنس وحدتي.

لا أملك صديق غيره ولا أريد غيره صاحب لي، فهو صديق العائلة بأسرها، تعرفت عليه قبل رحيل أبي بعدة أشهر، أتذكر ذلك اليوم كأنه الآن، اليوم الذي أسقطت فيه المثلجات أرضًا وبكيت حتى شاركني مثلجاته، ما يبدو للجميع أننا تشاركناها معًا ولكنّ الحقيقة أنا تناولتها

جميعها وحدي، كان يتمعن النظر لي ولا يأكل سوى القليل كي لا تنتهي ولكي يبقي ثغري مبتهج.

علمت أن أراس يكن لي حبًا كبيرًا في قلبه، لكنني لم أُكنُ له لوهلة واحدة شعورًا مثل شعوره، لا أعلم ماهية الحب، بينما أعلم ماهية الخذلان والحزن جيدًا.

لم ييأس يومًا من حبي، كنت أتعجب لأمره مرارًا، لم يبح لي يومًا ولكنني كنت أعلم، كنت أخشى من مواجهته فحينها سأقف صامتة وربما تنتهي صداقتنا وأخسره للأبد، وكأن قلبي ثنيّ؛ فنصف كان ينفطر من الحزن على حالته، ونصف مبتهج من حبه لي، فبرغم حزني إلا أنني كنت سعيدة بذلك الحب الكامن لي بقلبه، فإنه من اللطف أن يهتم أحد لأمرك يكترث لسعادتك، يفهمك أكثر مما تفهم نفسك، يعرف أصغر ثغرات حزنك، يعلم كيف يهدئ هلعك، إن تمنت شيئًا لتمنيت أن أُكن له حبًا مثل الحب الكامن بقلبه.

أراس كان شابًا يافعًا فائق الجمال _أقل ما يقال_ عيونه خضراء ممتزجة برغوة القهوة، لحيته التي لم تزيده إلا جمالا فوق جماله، وجهه الضحوك ،

شاركته أيامي كلها، دراستي، طفولتي، ألعابي، كل أوقات فراغي قضيتها معه.

****

أراس..

كان صوتها كمعزوفة موسيقية محببة لأذني، أعشق صوتها وأقع أسيرًا تحت رحمة ضحكتها التي تشعرني أن العالم ما زال بخير، لم أعلم كيف أتتني القوة لأجيب عليها، فأنا أقف صامتًا أمامها وأحاول جاهد كي أجيب على كلامها العابر.

بعدما بقي الاتصال شيء من الماضي شعرت وكأن الظلام حل على العالم بأكمله، لذا احتسيت فنجانًا من القهوة وذهبت لأكمل مقالتي.

استيقظت في اليوم الت إلى باكرًا، تجهزت وكأنني ذاهبًا إلى عرس وليست مجرد دعوة للطعام، أحضرت لها بعض الحلوى والأزهار وذهبت إليها.

لا أنكر أني عندما رأيتها شعرت وكأنني أراها للمرة الاولى فقد كانت تأخذني معها لعالم لم تره عيني سوى برؤيتها، كانت أجمل المرات التي

رأيتها فيها، فعفويتها وطيب قلبها ورقتها تجعلني عاجز عن محادثتها والبوح لها بما اشعر به، أخاف أن أخسرها للأبد، أخاف أن تشعر بأنها مصدر لتعاستي عند البوح لها ولكن إلى متى؟ ماذا لو أحبت أحدهم، ماذا سأفعل أنا؟

****

ألين..

حاول أراس نسياني بشتى الطرق، تعرف على الكثير من الفتيات وعندما يفشل معه الأمر في أن يحبهم مثلما يحبني، يستمر في المحاولة على أمل أنني سأحبه، أو على الأقل سأشعر بالغيرة منهم، أعترف بأنني كنت أغار عليه من كل واحدة منهم ولكني لم أكن أريد أن أكون عبء أخر عليه، فأتركه يحاول دون منعه، لم أكن أريد أن أجرحه ولكنني لست أدرى ماذا افعل؟، لماذا لا احبه هو؟

سألني أراس يومًا ما؟ ما هي مواصفات فتى أحلامي، لم أعلم بماذا سوف أجيب على سؤاله لأنني لا أعلم ماذا أريد، أو حتى هل سأجد أحد ما يجعلني مغرمه به مثلما أراس أغرم بي،

فأجبته قائلة:

_ لا أعلم ولكن يكفيني أن أشعر بالأمان بجواره، يكفي أن يحبني، أن يشعرني أنني أجمل أنثى في هذا العالم، يطمئن قلبي معه، أرتجف أمام عينيه...

قاطعني أراس قائلا:

_لم أسألك عن شعورك يا إلين، مواصفات، مواصفات

_أقصدت الشكل الخارجي له كملامحه وما إلى ذلك

أحني رأسه بالموافقة

_لن أقول لك أنني لن أهتم بملامحه ولكنني لم أضع معايير كهذه قط، أعتقد أنني لن ألجأ إليها عندما أقع في عشقه، ولكنها مهمة بالطبع ولكني إن أحببته فلن أهتم لمظهره الخارجي.

بصوت ممتزج ب إلى أس أجابني قائلا:

_ كفي عن الشرح، لم أعد أشعر بالرغبة في سماع المزيد.

في ذلك اليوم تيقنت، أنه كان يريدني أن أجيبه عن مواصفات توجد فيه، تطمئن قلبه أنني سأكون له يومًا، تجعله يتأمل، ولكن كنت أحاول ألا أجعله يتعلق بي أكثر وأنا لا أحبه، أخشى رحيله ولا أستطيع أن أتقرب إليه كما يريد، هو صديقي الوحيد، لا أريد أن أجرحه وأن أكون مصدر تعاسه له.

انتهينا من الغداء واحتسينا القهوة أمام النافذة كالعادة، فهو يعلم أنني أحب النظر إلى النجوم حتى أنني أتحدث معهم ليلًا.

وبينما أنظر للنجوم والصمت سائد يختطفني أراس من النظر للنجوم ليقول:

_ألينأترين تلك النجمة.

تعجبت قليلًا لماذا يتحدث هكذا، نبره صوته غريبه عن العادة وكأن هناك أمر جاد للغاية فأجبته بصوت منخفض

_نعم أراها

_ إن أردتيها لجلبتها إليك في الحال.

وكأنني كالبكماء التي لا تجيد الكلام لم أعلم بماذا سأجيب؟، ماذا افعل؟، لم أستطع سوى تغيير الحديث.

_ أراس لقد صنعت حلوى اليوم بمفردي، سأجلبها لك في الحال.

ومن ثم هربت.

لماذا يجعلني أراس عاجزة عن التحدث، ففي كل مرة يحاول الإفصاح لي ولكنني أهرب كالعادة، أحب الحديث معه كثيرًا، ولكن ثمة شعور غريب يجعلني أشعر أنني عبء ثقيل على قلبه ولا أستطيع فعل شيء له، فلست قادرة على حبه ولست قادرة على الابتعاد عنه.

اتفقنا أننا سنتقابل غدًا في مطعم " لينتادا" .

هذا المكان المفضل لنا، لأننا وعينا فيه، نعرف تفاصيله جيدًا، نعرف أركانه وزواياه، لطالما كان لهذا المكان ذكريات قلة، جمعت عائلتي وعائلة إلين، وذكريات بقدر عمر بأكمله جمعتني أنا وألين، هذا المكان ليس مجرد مطعم، فأنا أشعر بالانتماء والاحتواء عندما أذهب إليه، لا أشعر أنه غريبا قط، حتى إنني تعودت على الطعام فيه، كما تعودت على الطعام

الذي تعده أمى في المنزل كما أن هذا المكان قريب من مكان عملها فهي لديها شفف الموضه والفاشون وتعمل في شركة جيدة بالقرب من لينتادا

فكرت كثيرًا فيما حدث أمس وبقيت تحت قبضة عقلي الذى يعج بالضجيج، كان بداخلي شخصان، شخص يقول لي أخبرها حقيقة مشاعرك وضعها موضع الاختيار على الرغم من أني أعلم أنها لم تكترث لي ولمشاعري، والأخر لا يريد أن يخسرها فلا يستطيع العيش من دونها، حتى وإن كنت مجرد صديق لها، صديق سوف تخبره عن من تحبه، عاجلًا أو آجلًا، أنا لن أتحمل هذه اللحظة، حياتي ستنقلب رأسًا على عقب، وبعد مناقشات دارت بيني وبين نفسي انتزعت نفسي من أفكاري الكئيبة تلك فقد ملأ جوفي بالأسى لفرط ما أهدرت عقلي وأجهدته بالاختيار.

.. بينما كنت جالس في لينتادا، غارق في تلك الأفكار أتت...

أعتذر ولكنني لم أنتهي من عملي سوى الآن.

أقع عشقًا في تلقائيتها للحديث ولغتها المتقطعة ويبدو أنها أتت إلى مهرولة تكاد تلتقط أنفاسها بصعوبة.

_ لا تكترثي لذلك، فأنا لم أمكث كثيرًا.

صوته كمثل ناي حزين، شعرت أنه ما زال غاضبًا من تصرفي، فقد ملأه ذلك بالحزن لفرط ما حدث أمس

وكانت مشاعره المتضاربة تتصارع بداخله، فهممت بالسؤال

_أراس، أأنت على ما يرام؟

_أجل، بخير، سأخذ نفس الطعام الذي أكله في كل مرة، فماذا عنكِ.

أعلم أنه أراد تغير محور الحديث، شعوري بأنني عبء عليه ومصدر تعاسته يحاوطني، ولا أعلم كيفية التعامل مع هذا الوضع، فشأنه شأن الذي فقد حبيبته وقضى يومه لم يتناول فطورة حتي الساعة العاشرة مساء، عينيه التي أكلها البؤس ووجهه الشاحب، يؤكدان لي أنه مستيقظ طوال الليل ولم يغفو دقيقة واحدة، أردت أن أزيح همه وألا أشعره بذلك فتعاملت معه كما أتعامل دائما.

_وأنا أيضا، مثلك.

قال "حسنا" بصوت هدمه الحزن.

ثار غضبي عليه فهممتُ لأقول له بلغة تداركها الحزن فجعل كل حرف من حروف الكلمة على أعلى جبل من جبال الصحراء القاسية.

_أراس، ما خطبك؟

رأيت في عينيها التي أغرق بداخلها، شعور بالخوف ممتزج بالحزن، علمت أنها أدركت السبب ولكن كيف أخبرها أنها هي مصدر حزني؟ فأردت التمويه.

_ دار حوار بيني وبين مديري، ولست على ما يرام.

أعلم أنها لم تصدق كلمة واحدة ولكن أخشى حزنها إن علمت حقيقة أمري.

_ بمرور الوقت سيعود كل شيء على ما يرام من جديد لا تحزن.

أعلم أنه لم يكن سببًا حقيقي، ولكنني كنت خائفة من حقيقة الأمر ربما لأني مدركة للحقيقة، فلم ألح عليه ليقول أنني سبب حزنه.

أردت حينها أن أخبره أني أعتذر له عن حبه لي، أدركت كمّ أنانيتي الفظة، فكيف لي أن أعلقه بي أكثر إن لم أكن أُكِن له حبًا، وماذا سأفعل من دونه فهو الصديق الوحيد لي.

بقى صامتًا شاحب الوجه يبدو عليه التعب، شعرت بمدى عجزي وقلة حيلتي في إدخال السرور على قلبه لم أستطع إذهاب حزنه وتهدئة روعته مثلما يفعل لي، ماذا سأفعل؟

عدتُ للمنزل وأغلقتُ باب غرفتي وطرحت حاجاتي على فراشي ومن ثم فتحت النافذة، شعرت وكأنني سأختنق لم أستطع أنا أفعل شيئًا له وهو يجثو أمامي منكس الرأس.

لا بد من حدوث شيء ما ولكن ما هو، وبينما أتقاتل مع نفسي إذ الباب يدق إنها أمي تستأذن للدخول، مظهرها مريب وكأن هناك ما ستلقيه من ثغرها الأن التفت لها بعنايه ونظرت بعينيها ومن ثم يتحول الأمر المريب التي اكترثت له لثغرٍ مبتهج الآن كُشف عن وجهها ما ستقوله فأجبتها قبل أن تبوح بما في ثغرها.

_لن أتزوجه، أمي أرجوكِ أنا متعبة قليلًا أريد أن أخلد للنوم.

تحولت تلك الابتسامة ليأس ممتزج بقلة حيلة وبدا على وجهها علامات الغضب وهمت لتقول:

_كم عمرك أنتِ؟

أمي لن أتزوج بأحد، لأن قطار الزواج سيفوتني، إن كنت تخافين على هذا القطار الأبله أن يفوتني فأنا ما زلت أملك خمسة وعشرون عامًا، لم أشرف على الثلاثين ولم أبلغ الأربعين بعد.

_أي بنيتي بالله ماذا تريدين بعد، جميع الفتيات يتمنونه إنه وسيم وذو سلطة وجاه ماذا تريدين؟

فلتذهب سلطته وماله للجحيم، لا أريده وسيمًا أريد رجلًا يحبني، يفهمني، أريده أن يُلم بجميع أحوالي، يعرف كيف يهدئ غضبى، يؤنس وحدتي و...

_وماذا عن أراس!!

أراس ماذا، بصوت متقطع.

نظرة لعيني متنهدة وأعلم أنها لن تبرح حتي تبلغ منالها مني فهممت مسرعة.

أراس صديقي يا أمي لا تنظري لي هكذا.

_ماذا تريدين بعد إنه يحبك، يفهمك، صديقك الوحيد قاطعتها لأقول:

أجل صديقي فكيف لي أن أتزوج منه!

_ألين، يا صغيرتي، أراس يحبك، لن تجدي من يهتم لأمرك غيره، لن تجدي أحدًا يحبك مثلما يحبك، حاولي أن تأخذي كلامي على محمل الجد وفكري بما قولته لكِ جيد.

أريد النوم يا أمي، غدا نكمل الحديث.

لم أستطع النوم، تأملت الكلام الذى ألقته أمي بوجهي، وتساءلت بما أنني لا أحب أحدًا فلماذا لا أعطى من يحبونني الفرصة لكي يشعروا بالسعادة؟، السعادة التى أتمنى أن أشعر بها يومًا، فأنا لن أتحمل رؤية أراس حزين هكذا بسببي، سأعطي لأراس فرصة كي أحبه، ولكن

كيف سأفعل ذلك، ماذا لو لم أستطع أن أحبه وتعلق بي أكثر؟، ماذا لو جرحت قلبه مجددًا؟

الساعة الثانية بعد منتصف الليل اتصلت بهاتف أراس ولم أستطع الوصول إليه، بدأت بالقلق عليه، ربما هو نائم، أو ربما لا يريد محادثتي، استمريت في الاتصال به ولكن بدون جدوى، فلقد أغلق هاتفه ولم أستطع الوصول إليه، قضيت الليل في التفكير في الغد وماذا سأفعل، وبحوزتي كوب القهوة الذى أعدته خفية؛ لأن أمي تعلم أني نائمة، لا أعرف كيف انقضي الليل، وكيف غفوت فلقد أرهقني التفكير فغفوت بدون غطاء، فاستيقظت برفيق يرافق صوتي "الإنفلونزا"

لم أكن أستطيع أن أخطو خطوة واحدة فجسدي كله مرهق، ومع ذلك ارتديت ثيابي، وذهبت إلى منزله، وكل ما أتذكره أني رأيته عندما فتح لي الباب ولم أتذكر شيء بعد ذلك، أين أنا، ماذا يحدث؟

****

أراس

علمت أنها علمت ما خطبي، أعلم إلين أكثر مما تعي نفسها، وأعلم أنها لم تكن تريد أن تسمع الإجابة الحقيقية عن سؤالها لأنها تعلمه جيدًا، لا أستطيع أن أرى حزنها وأكون سببه، أهلكت نفسى في التفكير، ولم أنم دقيقة واحدة حتى أنني لا أدرى، كم كوب قهوة احتسيته؟ ولكني قضيت الليل في الكتابة و احتساء القهوة، مع الاستماع لأغاني حزينة.

لماذا عندما يكون الحزن جاثم على قلب البعض لا يستمعون لموسيقى تذهب الحزن عنهم؟، بل يستمعون لموسيقى تشعرهم بمقدار الألم القابع بداخل قلوبهم ويتغلغل لأعمق خبايا صدورهم، لماذا لا نبحث عن السعادة في قاع الحزن؟، لماذا نبحث عما يوجد أسفل القاع؟.

فكتبت قائلًا:

وكأَن العالَمَ بأكمله لم يَسع قلبي، وكأنني سأنْحني يومًا على يساري من ثقل قلبي، لم أعد قادر على المجابهة والتصدي، بتُ أشعر وكأن المواجهةَ ليست للذين من أمثاليًا.

الساعة الثامنة صباحًا كنت أرتشف آخر كوب قهوة أعدته، وإذ بباب المنزل يدق، من سوف يأتي في هذه الساعة، لعله خير.

فهممت بفتح الباب ولم أكمل جملة من الطارق وجدت إلين تفقد وعيها أمامي، يبدو عليها التعب، استنجت بأمي وأنا أصيح وأضج مثل طفل صغير، فأتت إلى مهرولة.

بصوت مفعم بالهلع

_ألين!!!، ماذا أصابها يا أراس ؟

كنت في حالة مزرية لم أستطع البوح بكلمة واحدة، ما الذى آتى بها في هذا الوقت؟، ما الذي أصابها؟، لم أعي كل ما قالته أمي حينها فقد كنت غارقًا في خوفي.

حادثت طبيب العائلة ليأتي ويقول أنها تحتاج إلى بعض المحاليل والراحة التامة، عدت إلى الواقع بعدها فعلمت أنها ستكون بخير، ولكن ماذا بها؟، ما الذى أودى بها لهذه الحالة، كانت الكثير من التساؤلات تجول

بخاطري ولم يكن بوسعي فعل شيء سوى الانتظار إلى أن تستيقظ لتخبرني ما حدث.

الساعة الواحدة ظهرًا، تفتحت زهور الحدائق حولي فقد استيقظت أميرتي النائمة، وكأن الحياة بعثت لي من جديد، كنت أنتظر بجوارها ولم أذهب لمكان قط، لم أغفو عنها لحظة واحدة، رددت كثيرًا من الأدعية والآيات، ونسيت أمر عملي تمامًا، ستوبخني، ولكن ماذا سأفعل لم أستطع تركها.

تتفتح عين أميرتي شيئا فشيئا وأنا بصوت ممتزج باللهفة والحب.

_ألين، هل أنت بخير.

نظرت بعينيها التي تتسع كلما حدقت أكثر، أطالت النظر ولم تتحدث لبرهة، ثم قالت:

_الحمد لله، ثم كادت أن تترجل أرضًا من على الفراش.

وبصوت مفعم بالتوتر، ماذا حدث؟ ماذا أفعل هنا؟ ما الذي جاء بي إلى هنا؟

تحدثت معها عن ما حدث وكيف جاءت ومدى خوف أمي عليها، وكانت لا تنطق بكلمة واحدة كل ما تفعله هو التحديق يعيني أكثر فأكثر، لم أتذكر ماذا قولت لها فكل ما كانت تحدق بي أكثر كان العرق يتصبب من جبيني أكثر فأكثر، شعرت بوجود خطب ما بها فهي لم تنظر لي هكذا من قبل، ماذا بها، ماذا يحدث معها، لم أفهم شيء.

وبينما كنت أتصارع مع الكلمات لتخرج واحدة تلو الأخرى من ثغري، أتت أمي لتطمئن على إلين.

_نحمد الله على تعافيكِ يا صغيرتي، كاد أراس أن يفقد عقله، لم يتركِ لوهلة.

نظرت إلين لعيني مجددًا أعلم أن هناك خطب، شيء ما يدور بخاطرها، لم أستطع أن أواصل فكانت نظراتها تجذب قلبي لها، كدت أن أفقد السيطرة وها قد بدأ جسدي الأبله بالارتجاف، فهربت من الغرفة لأذهب للعمل.

****

ألين

عندما استيقظت لم أتذكر ما حدث إلا بعد دقائق استجمعت ذاكرتي عندما لقنني أراس ما حدث، تذكرت أني ذهبت كي أتحدث مع أراس فهاتفه كان مغلق طيلة الليل، كان بجانبي عندما استيقظت، لم يسأل عن سبب مجيئي وكأنه على علم.

في الحقيقة لم يكن هذا هو سبب ذهابي إليه، بل ما قالته أمي لي أحدث ضجة بداخلي، لا أعلم ما الذى آتى بي، ربما لأراه بعدما أخذت قرارًا أن أفتح له قلبي، ويكن لي حبيب وليس مجرد صديق، ولكن ثمة شيء في الأمر، بت لا أعلم من أنا.

عندما كان يقص لي ما حدث لي، كنت أنظر إليه، شيء ما يحدث ليس أمامي صديقي وكأنه شخص آخر، إنها المرة الاولىٰ التي أرى ملامح وجهه بعنايه، هذه المرة الأولى التي أصوب نظري لعينيه، كيف أن يكون بجواري طيلة الوقت ولا أعلم شيء عن عينيه تلك، كان يتعجب لأمري ولكني لم أُبالي به فقط، كنت أنظر إليه وثمة شيء ما يرتجف

بداخلي، شعور لأول مرة ينتابني، ولم أُباليلشعوري أيضًا، فقط كنت أنظر إليه.

لم أغض بصري إلا آن دخول أمه حاملة معها الحساء، وهَمّ هو بالهروب كان مرتبكًا ولم يدرك ما كان يخرج من ثغره، وأنا لم أكن أهتم لتفاصيل ما حدث كنت أنظر إليه وحسب.

بعدما هم أراس بالرحيل، لم أستطع أن أمكث أكثر فقد بدأت أفكاري تنمقني وداعب خاطري ما حدث فأردت أن أذهب إليه لأقص له ما حدث معي، أردت أن أخبره بأن الله استجاب لدعوته أخيرًا، أظن أن ما أشعر به هو الحب، فانتشلت الهاتف من جواري وهممت بالاتصال به ولكنه لم يجب، كان المحلول بقي القليل لأن ينتهي، فعزمت على الرحيل بعد انتهائه، ظللت أراقب قطرات المحلول وأتفحصها بعنايه كالذي يصوب نظره لعقارب الساعة عند انتظار مسافر ما، وبعد حو إلى خمس دقائق جاءتني رسالة نصية منه، نصت على:

"ألين، هل بك خطب ما، أجيبيني الآن؟"

فرددت قائلة:

_بخير ولكن.

ماذا أكملي.

_هناك ما أقوله لك، أريد محادثتك الآن، أين أنت؟

في لينتادا، ولكن إن كنت لا تستطيعين سآتي أنا.

_بخير لا تقلق، حسنا سآتي فورًا.

_أنتظركِ

لم أعى متى انتهت قطرات المحلول، فهممت بالرحيل، أرادت والدته ألا أغادر الفراش ولكنني صممت على الرحيل، هممت مسرعة، لم أتجاوز باب لينتادا بعد، حتى غُص قلبي غصة لم أستطع تفاديها، لم أنتظر أكثر فهممت بالرحيل، فخرج أراس ليمنعني من الذهاب ولكني أبيت المكوث وقت أطول، لم يؤلمني ما رأيته أكثر مما آلمني سؤاله الأبله،

_ما الذى جاء بكِ إلى هنا.

بكيت بقدر ما قدر لي البكاء وعدت للمنزل.

****

أراس

هربت من المنزل كالهارب من الوحوش الراكضة خلفه، لم أستطع الذهاب لمكان سوى المكوث بلينتادا، بعثرت خواطري على الطاولة وصوبتها أمام عيني وتعمقت فيها رويدًا رويدًا، ومن ثم بدأت بتساؤلات عديدة.

ما الذى يحدث لها، لما صوبت عينيها إلى هكذا، لم تنظر إلى هكذا من قبل، لا أعلم ولكن أشعر أن ثمة شيء في الأمر، كيف لها أن تفعل بي هكذا فقط بنظرة، لم أستطع أن أمتنع عن التفكير في ماهية نظرتها لي، كيف لها أن تقع في عشقي بين ليلة وضحاها، بالطبع ليست تحبني، ولكن ما بالها.

يومًا ما كنت في غرفتها ورأيت دفتر ذكرياتها منعتُ نفسي ألا أفتحه ولكن لم أستطع، فبدأت بالقراءة لم تكن لغتها جيدة ولكنها عبرت عن حالها بمهارة، فبدأت بالقراءة ولكن لم أصمد كثيرًا فبعد أن قرأت تلك الخاطرة العالقة بذهني منذ ذلك اليوم أغلقت الدفتر وخرجت من المنزل، قد نصت حروف الخاطرة على:

"أتساءل عن وجود فارس الأحلام في الحقيقة، لم نره سوى بين سطور الروايات التي نقرأها وشطور الشعر، إن كان له وجود فأين هو إذًا؟ لما لم يظهر حتى الآن؟، ومتى سوف يأتي؟، وهل سيأتي حقًا؟، ماذا لو أنني رأيته يومًا ولم أتعرف عليه؟، ماذا لو أنه ليس من نوعي المفضل؟ هل سأكون سعيدة معه؟ سيمحى خوفي وهلعي بقربه؟، أعتقد أنه خرافات مثله مثل "أمنا الغولة".

يتسلل الخوف جوفي من أن أبقى وحيدة وأظل كما أنا عليه الآن، ولكن حتمًا ينتابني الفضول أن أدرك حقيقة هذا الفتي،

ما هو مصيري ؟ هل سأجده يومًا؟ ليس بوسعي أن أطلع على حقيقة الأمر ولكن بوسعي أن أنتظر، سأنتظر."

كادت الغيرة أن تقضي على من مجرد شخص في خيالها، فما الذى سأشعر به عندما تتعثر به يومًا؟، لماذا قصص الحب ليست عادلة؟، لماذا لا تحبني إلين؟، لماذا لا أحب أسيل التي تحبني وتنتظر مني أن أحبها؟، لما لا يكف قلبي عن حب إلين.

لماذا تنظر إلى هكذا، هل تعثرت بالحب وتخشى البوح لي، تشعر بالحزن لأمري، ولا تعلم كيف تخبرني بذلك، ولكن هذه ليست نظره شفقة، لا أقدر على وصف نظرتها، ولكنها المرة الأولى التي تنظر إلى هكذا.

هذه الخواطر البائسة لم تزده سوى ضجيجًا فوق ضجيجه، لكن حبه لها كان أقوى من أن يخسر وجودها ك صديقة له للأبد، فعزم أن يجعل اهتمامه بأسيل يُحال حبًا عميقًا، فعزم على محادثتها ليخبرها بأن تأتي لأمر هام في الحال.

فجاءت أسيل لينتادا مسرعة.

_أراس آمُل ألا أكون قد تأخرت، ما بال صوتك، ماذا حدث؟

اجلسي أولًا ومن ثم نتكلم، أتودين احتساء القهوة.

_يبدو لي أنك مجهد، هناك خطب ما بك، أليس كذلك.

سأطلب لك إذا.

_دعك من القهوة الآن، ألم تسمع.

ماذا!

_ماذا بك أنت؟

تهمت وقلت بصوت مفعم بالحزن:

ألين.

لم تجب لبرهة ومن ثم قالت:

_ماذا بها

أريد نسيانها.

_أراس أعلم مقدار حبك لها، ولا ملامة عليك في هذا، فليس بوسعنا أن نختار من نحب، ولكن هناك شيء لا أفهمه.

وما هو.

_وما شأني أنا بنسيانك لها.

نظرت لعينيها باهتمام ومن ثم قولت:

ألديك طريقة.

_أتسألني أنا!، ضحكت ومن ثم قالت لو كنت أطلع على طريقة ما، كنت سيرت على نهجها فرارا من قلبي.

أسيل أنا أريد أن أمنح الفرصة لقلبي لينبض في اتجاه آخر، وأريد طرح عليك سؤالا.

وما هو؟

إذا كانت هناك فتاة تكن لي الحب وأنا أريد أن أمنح الفرصة لقلبي ليبادلها شعورها، أقول لها حقيقة حبي ل ألين أم أحاول معها في صمت.

_لا أعلم بماذا سأجيب عليك الآن، ولكن كل منا تختلف عن الأخرى.

ضعي نفسك محلهن، ألست فتاة مثلهن.

_فتاه ولكن لا أعلم، منهن من ستعرض عنك، ومنهن من ستسمح لك.

_وماذا عنكِ؟

صمتت ولم تجب وكلما مرت دقيقة كانت تتسع حدقة عينيها أكثر فأكثر، فكررت سؤالي مجددا، فلم تجب.

أسيل، ألن تجيبيني؟

_ماذا عني كيف؟

ستعرضين عني أم ستجعلينني أحبك؟

_لم أفهم.

بل فهمتِ.

_لم أفهم.

فهمتِ.

ربت على يديها بيدي وجذبت يدها أمامي، راودتني الرغبة في الضحك بمقدار ما راودتها، كنت سعيدًا بطلعتي الأولى إلى أن جاءت إلين، ثمة شعور مخيف تغلغل بصدري وبت أنظر إليها مندهشًا ما الذي آتى بها إلى هنا، ألم تكن ماكثة في الفراش.

حاولت معرفة ما الذي جاء بها إلى هنا ولكنها غادرت مسرعة، أمعقول أنها غارت على من أسيل، لا أظن أن هناك خطب ما بها، فركضت ورائها ولم ألحق بها، فاستأذنت من أسيل وذهبت ورائها.

****

ألين

عدت للمنزل وقلبي مكدس بالخدوش التي وضعها أراس عليه، للمرة الأولى التي أشعر بها بالخذلان فقد كنت أسارع الوقت وصولا إليه لإخباره بأن شيء ما بداخلي يكن له الحب، كنت أتخيل ابتسامة ثغره حين ألقي عليه تلك الكلمات بقليل من الرقة والنظر لعينيه مجددًا، ضاع كل شيء هباء، لم أرى ابتسامة ثغره بل رأيت مدي قلة حيلتي وضعفي؛ لم أرى بعينيه لهفة لاستكمال حديثي بل وجدت سؤالا منه وهو جاحظ العينين، ما الذي آتي بي إلى هناك، كيف لكل شيء أن يغير مصيره بدقيقة، أقع في عشقه بدقيقة نظرت لعينيه باهتمام فغرقت في بحرها،

كيف يحال الحب هجرا بدقيقة؟

لم أذرف دموع مثل هذه قط، وربما لأنه كان بجواري دومًا، الآن هو سبب بكائي فكيف له أن يداويني ويهدئ روعتي، كيف له أن ينساني بليلة وضحاها ألم يقل إن أردت نجمة لآتي بها، تالله لم أرد شيئا سواه هو.

إنها المرة الأولى التي أشعر بالغيرة عليه لهذه الدرجة، لطالما كان حوله الكثير والكثير ولكني لم ألقي لهم بالا، لم أهتم لوجودهم، ولكن هناك سؤالا واحدا كان يجول بخاطري أكثر مما يجول البقية، كيف أحببته بدقيقة، كيف حدث هذا، نظرة واحدة كانت سبب حالتي المزرية تلك وبينما أتنازع مع قطرات عيني لكي لا تهطل وتكف عن الانهمار، سمعت صوته يقول:

_ألين، افتحي الباب لي.

لن أفتحه.

_حسنا.

تساءلت بخاطري ماذا أيها الأبله ألن تقل لي افتحيه مجددا، وما هي إلا دقيقة ووجدته أمامي، اقتحم الغرفة وكسر بابها.

ماذا فعلت أنت

_أنت الفاعلة

لحظة، أنت الآن تلقي على تهمة كسر باب غرفتي

_لا، ولكنكِ السبب

حسنا اقتحمتها وجئت إلى هنا، ماذا تريد؟

_ماذا أريد؟، قال بصوت عال مفعم بالغضب، ماذا حدث لكي أنت، لماذا تتعاملين بغرابة معي، صامته وإن ألقيت عليك سؤالا تجيبيني بسؤ ألين مثلهن.

أعطني هاتفك؟

_سأفقد عقلي، إلين لا تغيري محور حديثنا.

قلت بغضب

لا أغيره، بل أن أصله هكذا.

نظر إلى مندهشا، جلب هاتفه من جيبه الخلفي وأعطاه لي، بعثرت في الهاتف لم أجد أثرًا للرسائل، فهرولت مسرعة لهاتفي ولم أجد أثر للرسائل أيضا، فبدأت أهمهم الرسائل، أين الرسائل.

_رسائل ماذا؟

تبا لقطرات المحلول

_قطرات ماذا؟

أراس كف عن استجوابي، أحاول فهم ما يحدث.

بصوت غاضب

_ما يحدث هو لكي، أتيتي في الصباح الباكر منهكه ثم تنظرينألينظرات غريبة، ثم تهربين من لينتادا، رسائل ماذا؟، وقطرات ماذا؟

صمت بماذا سأجيب، وقتها فقط تيقنت أنني كنت أحلم فقد غفوت ٥ دقائق وأنا أراقب القطرات.

كيف سأخبره أن الأحوال تبدلت وصرت أنا العاشقة وهو المعشوق، كيف سأخبره أني بعد طول انتظار منه شعرت بالغيرة من أحدهم، كيف

سأخبره أني أشعر بشيء تجاهه لم أشعر به من قبل، وأن دعواته تحققت وأحببته، كيف سأخبره بهذا وقد رأيته ممسك بيديها وينظر لعينيها مثلما ينظر لي.

ظل واقف ينتظر منى تفسيرا لما يحدث، كان عقلي يعج بما فيه من أحداث، لم أستطع أن أقول له سوى.

_أريد أن أبقي بمفردي، هلا غادرت.

_لن أغادر قبل أن أفهم ماذا يحدث لك.

بصوت مندفع مفعم بالغضب ممتزج بالدمع وقليل من التوتر

_هلا خرجت من الغرفة، الآن،

وبتذلل

_لطفا.

_كما تريدين، سأغادر.

غادر أراس الغرفة ولم أكف عن البكاء، لم الوقت عدو لي، لماذا لم أشعر بحبه قبل يوم من الآن، ماذا سيحدث بي أنا الآن؟

****

أراس

عدت لغرفتي وتفقدت النافذة وتذكرتها في النجوم التي في السماء، في هدوء وسكون الطريق، حتى عندما أكتب أتذكرها فدائما أكتب عنها كتابات غامضة ومبهمة.

الساعة الثانية بعد منتصف الليل...

لم أكتب حرف واحد، ثم فجأة صرت أكتب عن الخوف لا أعلم لماذا، ولكن ربما لأني كنت أشعر به، خوفي من أن أخسر إلين وخوفي من حبى لها، خوفي من أن أجرح أسيل وخوفي من تدمير حياتها، بعدما انتهيت من المقالة، ذهبت إلى الفراش ولم أشعر بشيء بعدها.

****

ألين

لن أسامح قلبي بوقوعه في الحب، فالحب بالنسبة لي هو الضعف، وأنا لست ضعيفة.

فأنت إذا أحببت أحدا تكون ضعيف بمواجهته، يتحكم في حزنك وفرحك، حياتك كلها تبنى وتهدم بكلمة واحدة منه، تكون ضعيف أيضا عندما يتعلق الأمر به، وضعيف بجانبه، تخاف أن تقول شيء ما يفسد علاقتك به ويرحل عنك، فأنت تفقد ما بقى لك من كرامة وقوة وبقايا نفسك بحبك لأحدهم.

وها أنا ذا وقعت في الحب، لا أعلم كيف ومتي حدث هذا، ولكني الآن معدومة بدونه، محطمة، لأنه مع فتاة أخرى، يجب أن أترك ضعفي وأرحل، سأبدأ من جديد، وسأنسى ما حدث بالطبع، أنا لست ضعيفة لا لم أقع في عشق أحد بالطبع سأنسى كل هذا الهراء.

كان الوقت عدو لي لدرجة أنني لو علمت أنه سيكون معها في هذا الوقت، لما وافقني الوقت أن أذهب وهو ممسك ببدها هكذا، كان يتعمق بعينيها كما يتعمق بعيني، أكف عن حبي بهذه السرعة، بعد ما حدث لي

أتوقع حدوث أى شيء فما هذا الهراء أحببته بدقيقة فحتما سينساني بدقيقة.

أنا محطمة ولا أستطيع الاستمرار في صداقته يتوجب على الرحيل من هنا، إما اليوم، وإما الغد، يجب أن أنسى كل ما حدث، يجب أن أنسى آراس.

والدي "محمد"، مهندس مدني، ولد بتركيا، ولكن عندما تجاوز عمره عشر سنوات، عاد إلى مصر هو وعائلته، لأن جدى تعرض لأزمة م إليه وخسر كل ما يملك واضطروا أن يعودوا لمصر مرة ثانية.

والدى انفصل عن والدتي "نازلي" عندما كان عمرى خمس سنوات، لطالما سألت عن سبب انفصالهم ولكن لم يجب أحد منهم على يوما، كانوا دائما يذكرون أسباب ليست مقنعة، أعلم أنهم لم يقولوا الحقيقة قط، ولكني أعلم أيضا أنه سوف يأتي اليوم الذى سأعرف فيه السبب.

وبعدما انفصل والدي عن والدتي من عشرون سنة، عاد إلى تركيا، وهو يعمل الآن في شركة رفيق دربه الذي كان معه في نفس المدرسة عندما كان يسكن في تركيا، لم يفرقهم الزمن وتقلباته ولم تنجح المسافات أن

تعيق صداقتهم، ذهبت لزيارته مرة عندما كان عمرى الخامسة عشر، أبت أمي أن تأتي معي فأوصلتني للمطار وأخذني هو من مطار تركيا أيضا.

فتحت هاتفي وأجريت مع والدي مكالمة صوتية:

_ألين، كيف حالك؟

_بخير يا أبي، أبي أما زال عرضك ساري حتي الآن.

_ساري بالطبع، ولكن ماذا حدث لتغيري رأيك.

_لا يهم ما حدث ولكن الأهم متي سآتي كى أبدأ.

_سأحاول في أقرب وقت إخباركي بموعد الطائرة

_حسنا، سأنتظرك

_أي بنيتي أأنتي على ما يرام.

_ليس الآن، ولكن سأكون

_أعلم أنكي لن تفصحي عن ما بجوفك إلا حبن تشائين فسأتركك على راحتك، أتمني أن تكوني بخير دوما عزيزتي.

_شكرا لك يا أبي

_على ماذا يا حبيبتي؟

_على تفهمك لي.

_لا تكترثي للأمر حاولي أن تستعيدي بناء بقايا روحك التالفة، ستكونين بخير يا ابنة أباكِ.

_تالله اشتقت يا أبي.

_وأنا اشتقت لك أيضا، ستكونين ماثلة أمام عيني بأقل من أسبوع سأعد الدقائق إلى أن تأتي، بنيتي ما حال أمك؟ أهي بخير؟ تعلم بمجيئك؟

_بخير، بخير، لا تعلم حتى الآن ولكني سأخبرها.

_حمدا لله أنها بخير، حسنا يا صغيرتي انتظري خبرا مني.

حسنا يا أبي.

أبي أول من وقف داعما لي لأكون ما عليه الآن، دائما فخور بي، كنت أرسم منذ أن كنت أملك أربعة سنوات، كان دائما يضع الذى أرسمه ف إطار ويعلقه في غرفتي، كان دائما يشجعني على رسم المزيد، وذات مرة بعدما عدت من تركيا عندما ذرته كان يتابع معي كل ما رسمته واحتفظ بها إلى أن حدث صاحبه عنى وعن تصاميمي من أربعة أشهر فطلب أن يراها فرأها وأحبها كثيرا، وصادف أن زوجته صديقه لديها شركة وتريدني أن أكون جزءا منها ورحبت بي كثيرا، في بداية الأمر لم أوافق لأنني لم أشأ ترك أمي ولا أراس، كما أن أمي ستحزن كثيرا، ولكن الآن لم يجعل أراس لي مخرجا من حبه إلا بالسفر والابتعاد عن هنا، سأسافر إلى تركيا.

****

أراس

كنت مرهق فلم أشعر إلا والضوء ملأ الغرفة، والشمس أعلنت الدفء في كل الأرجاء، وصارت الساعة التاسعة صباحا، ارتديت ملابسي بسرعه وأخذت المقالة وتوجهت إلى عملي، المقالة أعجبت كل من قرأها وطلب مني المدير أن يكون لي كل يوم مقالة تنشر، فرحت بما حدث فهذه خطوة جيدة في طريق مسيرتي المهنية، ثم ذهبت إلى مكتبي.

بينما كنت ف المكتب، اتصلت أسيل.

_أراس كيف حالك؟

بخير أسيل أعتذر على ما بدر منى أمس ولكن...

_أراس لم أحزن لا تكترث أعلم أنك ما زلت تحبها، ألم تطلب منى أن أساعدك، لا تبرر لي شيئا بعد الآن.

فاجأتني أسيل بما لديها من جرئة وقوة، فليس من اليسير أن تعلم أن من تحبه يحب أحد آخر، كانت تسهل على الأمر كثيرا، وكان خوفي أن أجرح قلبها الممتلئ بالرقة والطيبة يزداد أكثر فأكثر.

_يبدو لي أنك لست على ما يرام، أهناك خطب ما.

بخير، ماذا ستفعلين اليوم.

_لا أعلم ولكن ما رأيك أن نذهب لتناول الغداء معا.

حسنا أين نذهب.

_أنا أحببت ذلك المكان، ماذا كان اسمه، حسنا، حسنا تذكرت لينتادا.

لينتادا!

_أيُدَعى اسمًا آخر.

لا، أقصد، حسنا حسنا سنتقابل الساعة الثالثة إذا.

_حسنا

ذهبت إلى لينتادا لكي أقابل أسيل ووصلت إلى الباب لأنظر من خلف الزجاج لأجد إلين تجلس مع شاب، بدا على وجهي ملامح الغيرة والغضب ولم أتمالك نفسي وذهبت إليها.

_ألين.

أراس ماذا تفعل إليس من المفترض أن تكون في محل عملك.

_نعم ولكن أخذت إذن، ألن تعرفيني عليه؟

بالطبع سأفعل، عمر صديقي من الشركة

_صديقك!

أجل ماذا دهاك لما تعجبت هكذا!

_لم أتعجب، فلا يحق لي التعجب، فأنت تملكين أصدقاء كُثر فلهذا لم أتعجب.

كادت إلين أن تقتله بنظراتها الغاضبة، تعلم ما يدور في جوفه.

عمر: تفضل بالجلوس معنا يا أراس.

_ في آن آخر، فأنا منتظر شخصا على وشك القدوم.

عمر: حسنا كما تشاء.

لم تتعامل إلين بهذه الطريقة الوحشية يوما، وكأني أصبحت عدو لها، داعبة عقلي دعابة ولم أستطع منعي عن التفكير بها، أن إلين تكن حبا للكائن المدعو بعمر! أبالله أليست دعابة؟

لم أعد أخشى شيء فكل ما أخشاه قد حدث، أهذا فارس أحلامك يا إلين، الذي سيؤنس وحدتك، تملكين كل الحق فقد آنس وحدتك فمنذ أن جاء تخليتي عن قربي، أستطيع القول أن كل الدعابات باتت حقيقة الآن.

جلست على الطاولة الموازية لهم، ربت على يدي وجذبتهم لثغري وبدأت بالكز على أسناني كدت أن أفقدها كلها إثر غضبي، جثم الحزن على قلبي مجددا لم أستطع الفرار من مكوثه بجوفي سوي ليوم واحد، وكأن الفرح أشبه بخيوط العنكبوت أغزل فيه أيام وأيام ويأتي الحزن ليقتلعه ويهدمه ويصير هباء منثورا.

وبعد مكوثي على الطاولة بدقائق أهمت بالرحيل، فذهبت خلفها ونادیتها، فطلبت من عمر الأبله ذاك أن يسبقها لمحل عملهم وستلحق به.

_ماذا تريد؟

ماذا حدث لك؟

_هه! ماذا يحدث لي!، بل ماذا يحدث لك أنت، فصامٌ مُتحرك تدور وتدور لم أعُد قادرة على فهمك.

لا أصدق، أتعنيني أنا بالفصام!

نظرة لعيني بحدةٍ ومن ثم قالت واصطحبت معها تنهيدة أهدأت غضبها.

_ماذا تريد؟

من ذاك الشيء

_الشيء؟، أتقصد عمر!

بل الأبله

_لا أصدق، هل هذا كل ما تريد معرفته، حسنا، لا يعنيك.

وأهمت بالرحيل فجذبتها إلى

يعنيني

فإنتشلت يديها

_لا يعنيك

ألين، بالله ماذا تريدين مني، أتريديني أن أجلس جاثيا أمامكِ لأعتذر عن ما تفعلينه.

_لا، لا أريد منك شيئا، سوى تركي وشأني.

وماذا عن صداقتنا، ما الذي أصابها؟

_صداقتنا!، إنه لشيء أذهلني حقًا أنك ما زلت تتذكر، لم تكن صداقتنا، بل صداقتي لك، ولم أكن صديقتك يوما بل كنت حبًا ومن ثم اختفي، فبكيت على أطلال صداقتي وحدى، وفي آنِها لم يكن لديك وقت للنواح معي، لأنه يلزم عليك أن تربت على يدٍ أخرى، وتشاركها صداقة حمقاء مثلك.

أتعي ما يثرثره ثغرك!

بعينين مفعمتان بالغضب واللامبالاة معا.

_جيدًا

حسنا، إلى اللقاء إذا.

لم تقل إلى اللقاء حتى، أشاحت نظرها عني ومن ثم سارت بطريقها ورحلت، لا أعلم منذ متى جاءت أسيل، فقد كانت خلفي تنظر إلى بنظرات إليأس.

لم أستطع أن أبقى بالمكان أكثر فهممت بالرحيل واعتذرت لأسيل وطلبت منها أن أبقي بمفردي.

تفهمت ومن ثم ذهبت.

توجهت للشاطئ واشتريت في طريقي بعض الأوراق وبدأت أخط عليها ما بي.

"قلبِي كزهرةٌ ف الفَضا، تتخبطها الأحزَان لِتقتلعها من جذورها، وتتهاتف إليها أنقى أنواع الخُذلان لتحريك أورَاقها، فلا سبيل لنجاته؛ إما غَريق وإما متهَدم بالٍ."

"أنا في أمس الحاجة إليك وأنت لا تبَ إلى بي، قلبك أشبه بالصخرة؛ لا يضُره نواحَ قلبي، ولا تمسه ريح حبي بشيء سيء، ولا تصْهِرُه نيران حبي، أما لهذا العشق من آخِر."

"ستظلين واحدة من الذين نقابلهم في العمر مرةً واحدة، أو ربما من الصدفِ التي تحدث للمرء مرةً واحدة.

أنت مثلِ أخرَ رشفة من كوب القهوة، رغم أنك مرةَ المذاق إلا أنك تتركين أثراً في فم أحدهم، فقلبيّ هو الفم الذى تركتي أثركِ فيه."

"أنتظركَ حتى تأتي إليّ، حتى تنطق عيني وتبوح بحبي لك علانيةً أمام الملأ، أنتظرك حتى تتشقق ضلوعي لتلقي بقلبي خارجًا، فلقد سئمتْ ضلوعي من حبي لك وأنت لا تب إلى بي."

والكثير والكثير من تلك الخواطر التي اجتاحت خاطري حينها، ظللت أقنعني أنها ستعثر على وتأتي لإرضائي مثلما يحدث في الأفلام البلهاء مكثت بمكاني طويلا ولكنها لم تأتي فهممت بالرحيل.

****

ألين

(اليوم الأول)

لم أكن أعلم كيف سأخبر أمي أني سأتركها وأذهب لأسكن مع والدي، و لن أعود إلَّا بعد العديد من السنوات أو ربما لن أتكمن من رؤيتها مجددًا.

طلبت من أبي أن يُمهلني يومين كي أقدم استقالتي وأنجز ما بيدى من تصاميم وأسلمهم لعمر، وأخبر أمي أنَّني سأذهب بعدما يفوت الأوان كي لا تمنعني من الرحيل.

أدركتُ صعوبة البوح برحيلي لوالدتي، فكلما نظرت لعينيها تجمدت حواسي وأبى الكلام الخروج من ثغري ولم أستطع القول، ففضلت أن أبدأ بإنجاز التصاميم وتقديم اِستقالتي غدًا، فمكثت الليل بأكمله أعمل على إنجازهم، حتى الساعة السادسة صباحًا وأنا مستيقظة، لم أحصي كم كوب قهوة اِحتسيته ولكنه بدا لي الثالث، ومن ثم تجهزت وذهبت للشركة قدمت استقالتي بالفعل، وذهبت لأسلم ما بيدي لعمر ولكنني

لم أجده، أدركت بعدها أنه لم يأتي بعد فهاتفته كي أقابله لأني على عجلة من أمري فلم يبقى لي سوي الغد

_عمر، أين أنت أريد أن ألقاك فورًا.

قال متلطفًا بصوت مفعم بالسعادة:

بخير وأنت كيف حالك؟

_ أعتذر ولكنني لست على ما يرام، أين أنت؟

ألين أهناك خطب ما، لم أستطع أن أفهم شيء، أنا في طريقي للشركة، أصبحت على مشارف شارع لينتادا.

_لينتادا! حسنًا اِذهب إليه سآتي إليك حالًا.

حسنًا.

عمر يملك من العمر ما يتجاوز السابعة والعشرون عامًا، طويل القامة، عيونه أشبه بلونِ الحقول مغطاة بلون السماء، بشرته بيضاء، لديه لحية بلون القهوة، تعرفت عليه أثر عملي بالشركة حتى أنه أول شخص

تعرفت عليه عندما بدأت العمل، لطالما ساعدني حتى أنجز بعض الأعمال التي لم أتمكن من إنهائها.

أتى عمر إلى لينتادا؛ فأعلمته برحيلي وبدأت بشرح له عن التصاميم وسلمته الملفات، وبينما نتناقش أتي أراس، لم أكن أريد رؤيته، جلس مجاورًا لنا وبقي مصوب عينيه فطلبت من عمر أن نكمل حديثنا في الشركة، ولم أتجاوز باب لينتادا بعد إلا وقام ورائي فاستأذنت عمر أن يذهب هو وسألحق به، دار الحوار بيننا بأسوأ ما يمكن، لم أريد أن أتفوه بتلك الكلمات ولكن داخلي كان يحترق، وبينما أقول له:

يلزم عليك أن تربت على يدٍ أخرى، وتشاركها صداقة حمقاء مثلك.

أتت السندريلا خاصته فما كان مني إلا وأنهيت الحوار معه ومن ثم ذهبت.

ذهبت للشركة لأستكمل حديثي مع عمر وبعدها ذهبت لأشتري بعض الأغراض التي أحتاجها للسفر فلم يبقى لي سوى الغد فقط.

عدتُ للمنزل وبداخلي غضب لا يسعه البحر، لا أعلم ماذا يحدث لي الآن أعتقد أنني في قاع الألم، ذاك الألم الذي حاربت مرارًا كي لا أشعر

به، فلقد حاربت كثيرًا لكي لا أقع في عشق أحدهم وهأنذا قد وقعت فيها بعد قاع العشق وتمزق قلبي إربًا إربًا.

لم يستطع الحب أن يكون صديقًا لي، تلاقينا في وقت لم يرحب هذا العالم بنا سويًا ولذلك كان حتمًا على الانسحاب، وهذه المرة سأغلق باب قلبي كي لا يقع في القاع مجددًا.

****

(اليوم الثاني)

ها هو اليوم الذي يجب على أن أخبر أمي فيه أني سأرحل وربما لن أعود، وغدًا هو اليوم الذى سأترك فيه كل ممتلكاتي وأذهب، سأترك الغرفة التي طالما أمطرت سماء عينيّ أمطار تشكلت على هيئة عبرات، الغرفة التي آوتني عند ضعفي احتضنتني بين جدرانها وخبئتني، فكثيرًا ما شعرت بالخوف من بقايا أجزاء المنزل وخبأتني هي حين أغلقت بابها وغفوت على فراشها، فيها كل طفولتي ومعظم أوقاتي، أفنيت عمري وانا أُجملها برسوماتي، صارت طابع في قلبي وليست في عقلي فقط، كيف سأترك كل هذا ورائي و أذهب؟ وكيف سأخبر أمي؟

غلب على الحزن، وأدركت أن قرار سفري قرار متهور كالعادة، أدركت مدى خطورته، شعرت أنني مكتوفة الأيدي لا أستطيع أن أبقى ولا أقوى على الرحيل.

مكالمة صوتية..

_أبي، كيف حالك

نحمد الله بخير يا بنيتي، وددت إخبارك أنَّ كل شيء جاهز، ستنطلق الطائرة التي ستقلكِ من مطار الإسكندرية غدًا في تمام الساعة العاشرة صباحًا.

وقع الخبر على قلبي وقع الصاعقة، رغم علمي بأنه غدًا وقد تمنيت ألا يأتي الغد.

ألين، لما لم يصدر صوتا لك؟

_حسنا يا أبي.

أي بنيتي ما بال صوتك كمثل ناي حزين، ماذا بكِ؟

بصوت مفعم بالبكاء

_لم أستطع إخبار أمي بعد.

كان الأمر سيكون أيسر لو أخبرتيها منذ حديثنا الأول، كنت أود كثيرا أن أقدم لكِ العون ولكنكِ لا تغفلين عن والدتكِ، فلن تريد سماع صوتي، حاولي مجددا فلم يعد الكثير من الوقت، أعددتِ حقيبتكِ؟

_ أعلم يا أبي، بقي القليل وستكون جاهزة.

حسنا سأكون في انتظاركِ في المطار، رافقتكِ السلامة يا صغيرتي.

_ دمتَ سالمًا يا أبي.

الساعة أصبحت الثانية عشر ظهرًا بتوقيت الإسكندرية وما زلت لا أدري كيف أخبر والدتي برحيلي، طلبت من أمي أن تعد لي الغداء، فهذا اليوم الأخير الذي سآكل من يديها وربما لا نلتقى مجددًا، ربما يحدث شيء ما سيء لنا.

بقت هذه الأفكار الشيطانية السوداوية تجتاح عقلي رويدًا رويدًا، فغرقت فيها ونسيت أنه يلزم على الاستمتاع بآخر يوم لي مع أمي، فالحزن أعلن احتلاله لقلبي و أعلنت بقايا جسمي رفض هذا المستعمر الفظ،

وحدثت الكثير من الاشتباكات بينهم، وكانت نتيجة المعركة، اعلان الحزن احتل إلى و فرض نفوذه عليّ.

انتشلتني والدتي من تلك الأفكار بسؤالها قائلةً:

_ألين، منذ يومين وأنت لستِ على ما يرام هائمة صامتة، غارقة في أفكاركِ، ماذا بكِ؟

كيف سأخبرك يا أمي، فلقد صعبتي الأمر أكثر مما هو عليه، الأمر يزداد سوء، كيف لي أن أحزن قلبك، قلبك الذي يمتلئ بالحب لي، كيف سأخبرك أني سأرحل من هنا لأتركِ بمفردك، ولكن يا أمى ليس لدي الآن خَيار آخر.

بقيت صامتة أنظر إليها وعقلي يعج بكل هذا.

_ صمتي مرة ثانية؟ ماذا بكِ

أمي.

بصوت مفعم بالحب والحنان:

_قَلبها، عُمرها، وعُيونها.

لم أستطع الكلام، لم أستطع اخبارها تجمدت الكلمات بداخلي.

لا تكترثين ليس بشيء هام، سأحتسي القهوة أتريدين؟

_ لا لا أريد سينضج الطعام قريبًا، سآكل ومن ثم أحتسيها.

ظلت تنظر لي وكأنها تعلم أن ثمة شيء سيء على وشك الحدوث، خائفة من حقيقة أن شيء ما حدث لي، كانت قلقة لدرجة لا أستطيع وصفها.

أعددت القهوة وذهبت لغرفتي لأستكمل جمع أغراضي، بكيت بقدر ما بكيت، ثم أتت أمي بجوار باب غرفتي المغلق بإحكام وطلبت مني أن أتناول معها الطعام، تناولنا الطعام ومن ثم بعدها طلبت مني أن أنجز بعض الأعمال ودخلت غرفتي لأكمل جمع أغراضي، وبعد ما تجاوز من الوقت ساعة وربما أقل وإذ تناديني لأشاهد معها التلفاز، فطلبت منها أن تهملني دقائق وسأتي إليها، لأنظر في الساعة، لأجدها السادسة مساءًا، كيف للوقت أن يمر بهذه السرعة.

خرجت من الغرفة على أمل إخبارها، ربما أنجح هذه المرة، فكلما مر الوقت ازداد الأمر سوءً وضاق صدري بما يحمله، كانت أمي تشاهد

مسرحية (مدرسة المشاغبين) رغم أن هذه هي المرة الألف وربما أكثر الذي تشاهدها، ولكنها في كل مرة تضحك وكأنها المرة الأولى التي تشاهدها، وقفت صامتة أنظر إليها وهي تضحك من بعيد، وأقول: في داخلي كيف سأبعد عنكِ وأتركِ يا أمى، فمن يوم رحيل والدي عنا لم تتركيني ليوم واحد كنتِ لي أبي و أمي، كنتِ لي كل شيء كيف لي أن أترك كل شيء و أرحل بهذه البساطة، فى هذه اللحظة ندمت على قرار سفري، ولكنني عنيدة فعندما أقول أنني سأفعل شيء ما سأفعله رغمًا عني، كما أن هذا هو الحل الوحيد الذي سينسيني ذاك الحب اللعين، لن أستطيع أن أتواجد في مكان يجمع أراس والسيندريلا خاصته وربما أكون أنا شاهدة في يوم من الايام على حفل زفافهم، كيف فعلت هذا بى أيها الأحمق، ثم قاطعت أمي شرودي لتقول:

_ لماذا تقفين هكذا وتنظرين لي كالناظِرُ لحبيبته، ستخرج قلوبًا حمراء من عينيكِ، تعالِ!

ذهبت لأجلس بجوارها، وتشجعت أن أخبرها.

أمي.

_ماذا؟

أحبكِ كثيرًا يا أمي.

انفجرتُ بالبكاء وكأن بكاء العالم تجمع في مقلتيّ حينها لم أستطع أن أمنع دموعي ألا تنهمر، رغم أن أمي لا تعرف سبب بكائي ولكنها ضمتني بين منكبيها وكأنها تقوم بتوديعي على طريقتها، وكأنها تعلم ما بي، وكنت أنا الأخرى أودعها وداعا من نوعي المفضل وهو البكاء والتشبث بها، كنت أودع حضنها التي لطالما آوَاني و احتواني عندما كنت طفلة مدللة تبكي من عدم وجود أباها بجوارها، فالأطفال في مدرستها لديهم أب يأخذهم من المدرسة أثر اِنتهاء اليوم الدراسي، كان حضنها كالحصن المنيع الذي لا يمكن لشيء أن يحدث لي بداخله.

_وأنا أحبكِ يا صغيرتي، لماذا تبكين الآن؟

ضممتها مجددًا، وأنا أجهش بالبكاء لأقول:

بالله سامحيني يا أمي، أعتذر.

بصوت مفعم بالحب والسكون، وهي تمسح بأناملها عبرات عيني المنهمرة، تقول:

_على أي شيء تودين أن أسامحكِ؟!

على ما بدر مني من سوء لكِ، على كل شيء قادم سيقتلكِ حزنًا مني.

_أسامحكِ يا صغيرتي دون طلب ذلك مني فليس لدي سواكِ.

كانت أمي تقطع أنسجة قلبي بتلك الكلمات وغيرها، وأثر كل كلمة كنت أزداد في البكاء أكثر فأكثر.

_ينتابني سؤال؟

وما هو؟

بصوت مفعم بالفرحة:

_ من أين ظهر كل هذا الحب؟

كنت دائما لا ابوح بحبي لأحد حتى لأمي، فأنا لا أجيد التعبير عن ما في داخلي لأحد، الكل يظن أنني لا أملك قلبًا مثلهم لأحب به أحد و يا ليتني لم أمتلك قلبًا.

ضحكت أثر سؤالها وأجبت:

_وها قد امتلكت، أين فرحتكِ بي؟

_فرحانة بيكِ.

(قالتها بتحريك رأسها يمينا ويسارا بصوت غنائي):(غادة عادل وهي تقول فرحانه بيكو)

تعالت صوت ضحكاتنا، كنت أريد أن يتوقف الزمن عند تلك اللحظة، فأنا لم أعد أريد شيئا آخر سوى أمي.

شاهدت معها المسرحية، أصبحت الساعة التاسعة مساءًا، لتُنزلَ أمي على قلبي صاعقة أخرى مثلما فعل أبى اليوم لتقول:

_ ألين لن أستطع البقاء أكثر فلقد تعبت، سأخلد للنوم لا تنسي أن تغلقي التلفاز قبل نومك ولا تتأخري بالسهر.

وقبلتني من جبيني ومن ثم ذهبت، لم أستطع إخبارها مجددًا ماذا سأفعل!

يا ريت كل ال يا ليت حقيقة يا أمي، ليت الوقت يتوقف، ليتَ الغد لا يأتي، يا ليتني لم أتخذ هذا القرار، يا ليت أبى معنا

و يا ليتكِ تستطيعين مسامحته، يا ليتني أخبرتك منذ يومين!

قضيت الليل وأنا أنظر لوجه أمي وهي نائمة، كانت مثل القمر فى ليلة منتصف الشهر بل أجمل منه، لم أرى مثلها قط فضحكتها تحيي ما أماته الحزن بداخلي، عيونها مثل السماء ونجومها في الليل شديد السواد، هي أجمل ما رأت عيني.

بعدها ذهبت إلى غرفتي وتركت رسالتي الممتلئة بدموعي بجوارها، لم أستطع إيقاف دموعي آن كتابة تلك الرسالة.

الساعة أصبحت السادسة صباحًا، ما زالت أمي نائمة بعد، بينما كان الحزن سائد عليّ، و إلى أس يحاوط جدران قلبي الهشة، بدأت أقول بداخلي أنني لا أريد الرحيل من هذه الغرفة لا أريد الرحيل وترك أمي، وها بدأت التساؤلات تحاوطني، كيف سأنسى أراس وهو سبب سفري فكلما سألني أحد لماذا سافرتِ ؟ سيداعب عقلي حبه و سأتذكر كل ما حدث، كيف لي نسيانه وهو صديقي الوحيد، كيف للمرء أن يمحو كل

ماضيه، هو أول من أحببت، كيف سأعيش بدونه؟ بماذا سوف أقضي وقتي؟ كيف سأقف في وجه المصاعب بدونه؟ فهو رفيق دربى بل هو دربي بأكمله، أعلم أن نسياني له سيكون أحد أكبر تحديات حياتي وسأخسر الكثير؛ ولكنى سأخوض تلك المعركة فربما تحدث معجزة ونعقد اتفاقية سلام.

كنت أريد أن أودع أراس ولكنه لم يترك لي فرصة لتوديعه، كنت سأقابله في اليوم الأول عندما قابلت عمر لتوديعه مثلما ودعت أمي أمس، ولكنه قال أنه ينتظر السيندريلا خاصته، فلم أرد أن أكون عائقًا في طريق سعادته.

وبعد كل هذا الضجيج الداخلي رأيت أمي للمرة الأخيرة ومن ثم خرجت من المنزل، وصلت المطار الساعة التاسعة بعدما احتسيت أخر كوب قهوة لي في لينتادا.

****

الساعة العاشرة..

بدأت بتخيل أشياء لن تحدث، كنت أعلم جيدا أنها لن تحدث ولكنني كنت سعيدة بمجرد تخيلها، بدأت في هذه اللحظات الأخيرة أن أتخيل أراس وهو يتلفظ باسمي ويقول لي لن أتركك تذهبين، هه ولكن سرعان ما سمعت صوتا أفاقني من أحلامي البائسة ليقول:

يرجى من المسافرين إلى (..) التوجه لبوابة رقم(...)

لم يأتي أراس بعد، سأسافر!

****

(٢)

أراس

حاولت جعل إلين تخبرني لماذا تتعامل معي بهذه الطريقة؟، ولكن لم تُجب على بشكل واضح بدت غريبة الأطوار، الشيء الوحيد الذي فعلته أنها أفرغت كل ما تملك من غضب في وجهي ومن ثم رحلت.

لم تتعامل إلين معي بهذه الطريقة من قبل، كنا دائما ما نخبر بعضنا البعض بكل شيء، عندما نشعر بالضيق من أنفسنا نخبر بعضنا بعضًا وعندما نستاء من وضع معين أو نقع فى زمام مأزق نخبر بعضنا، وعندما يحدث شيء سيء لها كنت أول من تلجأ إليه، وعندما يَجِدُ جديد في حياتها كنت أنا أول من يعلم، فلماذا تعاملني بهذه القسوة، هل فعلت شيء سيء لها من دون قصد مني، لو لم أكن أعلم أنها لن تكن لي الحب وأن قلبها ليس لي لكنت صدقت أنها غارت من أسيل، ولكنها ليست كذلك، إذًا لماذا تتعامل معي بهذه الطريقة!!، ماذا يحدث لها؟، حتمًا هناك خطب وسوف أُلِمُ به.

بينما كنت أستجوب نفسي جاءني اتصال هاتفي

والدة إلين "نازلى"

بصوت ممتزج بالبكاء

_أراس، إلين...

ماذا بها، ما بال صوتكِ!

_ذهبت للمطار

مطار ماذا، لما، كيف!

_ستذهب لوالدها، الحق بها، أعِدها لي!

هرولت مسرعًا، لم أكن أدرى ماذا أفعل فقد وجدت نفسي في سيارتي وأقودها بأقصى سرعة ممكنه ومتوجه للمطار لا أعلم كيف وصلت للسيارة ولكني الآن متوجه للمطار لألحق بألين، هل أنا أحلم؟ إلين سترحل! ولكن لماذا؟ وها أنا ذا وصلت للمطار أخيرًا، حاولت أن أجدها ولكن لم أعثر على أثر لها قط، عدتُ إلى والدتها وقلت لها أنني لم أستطع العثور عليها نظرتألينظرت حزن ممزوج بشفقة بمسحة من الغضب، ثم أعطتني رسالة، هذا خط إلين، بدأت أن أقرأ:

"أمي الحبيبة، ربما ستقرئين هذه الرسالة بعد فوات الأوان، أنا سافرت لأبي، حاولت على مدار يومين أن أخبرك ولكنني لم أستطع فعل ذلك، لم أود يومًا ترككِ ولكنني لم أتمكن من المكوث أيضًا، لقد أنصت لنصيحتكِ وفتحت له قلبي ووقعت في عشقه، لا أعلم متى وأين، ولربما كنت أحبه من البداية ولكنني لم أفهم أن هذا هو الحب وبينما كنت سأخبره وجدته مع فتاة أخرى، لقد نسى أراس حبي ولم يعد يهمه أمري، فذهبت لأتعرف على ذاتي، كما أنني نِلت شرف العمل بإحدى الشركات الشهيرة بتركيا، ستنطلق الطائرة في تمام الساعة العاشرة صباحًا أرجو منكِ ألا تُعلمي أراس سبب رحيلي، دمت سالمة يا أمي، أحبك وأعتذر."

_ابنتك

علمت مدي سذاجتي، علمت كل شيء، رغم أنني واجهت صعوبة في تقبل كل ما يحدث، إلين تحبني!!!!.

لم تكف عيني والدة إلين عن البكاء وبدأت تبوح بما بجوفها لتقول:

_لقد تجاهلت ما فعلته أمك بنا وتعاملت معك ك ابن لي ولكنك مثلها.

_أمي!!، ما دخل أمي؟، ماذا فعلت؟

بصوت حاد مفعم بالغضب،

_عليك أن تسألها هي وليس أنا!

ماذا يحدث لا أستطيع أن أستفيق من أثار صدمة حتى تأتي الصدمة التي تليها أشد منها بأسًا، أصابني الذهول والتوتر أو ربما أشياء أخرى كنت أشعر بأشياء للمرة الأولي أشعر بها، لم أشعر بها قط طوال حياتي كلها.

كانت منهارة في البكاء لم أراها هكذا في حياتي، كنت واقف جاحظ العينين لا أستطيع الحركة فداخلي رافض الإعتراف بكل تلك الهراءات، صار داخلي كالحجارة وفقدت القدرة على الكلام،

بكت برهة، ثم استجمعت بقايا قدرتها وقالت:

_أنت ووالدتك حطمتم عائلتي، فقدتهم بسبب وجودكم.

ثم وقفت من على الأريكة ودفعتني بكل قوتها وقالت لي:

_لا أريد رؤيتك بعد اليوم، ارحل من هنا!

دفعتني خارجًا و أغلقت الباب، بقيت في مكاني لم أستطع الحركة ربما دقائق أو ساعات لا أستطيع التمييز بينهم، فلم أستوعب ماذا يحدث، إلين تكن لي حبًا! والدتي أفسدت عائلتهم! إن أرادوني أن أفقد عقلي لما فعلوا هذا بي، ماذا يحدث؟!

ولكي أعلم ما حدث ذهبتُ إلى البيت كي أفهم ماذا يحدث.

_أمي! أمي!

ماذا بك يا بني، لما تصيح هكذا!

_ماذا فعلتِ لعائلة إلين؟

من قال لك هذا الهراء، وماذا قال؟

_أجيبيني وحسب!

حسنا اِهدأ كيف سأجيبك وأنت بهذا الوضع؟!

_لن أهدأ قبل أن تجيبيني!

قلت لك سأجيب، حسنًا!

_ماذا فعلتي يا أمي!!!! ماذا تقولين!!!!، كيف لك أن تفعلي هذا!!؟

إلى أين أنت ذاهب يا أراس؟

هربت من المنزل كالهارب من جناية ارتكبها، كنت أحاول أن أقنع عقلي أني بداخل كابوس مرعب، و سأستفيق منه عم قريب.

ماذا فعلتِ يا أمى، حبًا بالله ماذا فعلتِ، ماذا فعلت أنا كي يحدث بي كل هذا؟ كانت ستخبرني بحبها، لا أريد تصديق هذا، أنا بداخل كابوس، سأستفيق حتمًا منه.

****

ألين

عندما بدأت الطائرة بالتحرك، لم أستطع أن أبقى هادئة دون البكاء وعندها ظن الجميع أن شيئًا ما يؤلمني، لا يعلمون أن ألمي تخطى كل آلام الجسد وأمراضه، لا يعلمون قدر حبي لأمي ومدى تفتت قلبي ألمًا لفراقها، لم يدركوا مقدار خوفي من الحاضر و ألمي من الماضي، بكيت بقدر كاف كي أشعر بالارتياح قليلًا.

وها بعد عناء وصلتُ أخيرًا ووجدتُ أبي و أول جملة قالها:

_صرت نسخة متطابقة من والدتك يا ابنتي.

احتضنني وبكينا معًا ثم ذهبت إلى بيت أبي.

كان قد جهز لي غرفة مثل غرف الأحلام، وبدأ يُعد لي أيضًا الطعام ثم ناداني كي نتناوله معًا.

_يا لسعادتي، فإنك أمامي الآن...

قاطعت حديثه

_أبي

ماذا؟

_أريد طرح سؤالًا، وأتمني ألا تتهرب من الجواب كعادتنا، أسألك ومن ثم تتهرب.

وما هو السؤال الذي تهربت منه!!

_لماذا انفصلت عن والدتي؟

بدا على وجهه الاضطراب والندم بشيء ممتزج بالحزن و إلى أس ومن ثم وضع المعلقة من يديه ثم قال:

سأجلب الماء، أتريدين؟

_لا !

تهرب من سؤالي مجددًا كنت أعلم أنه لن يجيب لطالما سألتهم ولم أكن قادرة أن أتوصل لتفسير لهذا الانفصال.

جلب الماء وجاء وبينما كان يجلس همست قائلة:

_أبي، أعلمني السبب وأعدك أنني سأحاول مساعدتك ولن أحزن مهما كان ما فعلت، أسامحك من الآن، أرجوك قل لي ماذا فعلت؟.

بالله لم أفعل شيء، أنا فقط..

_أرجوك أكمل!

عبث يا إلين، مهما فعلت لن تستجيب والدتك ولن تصدق كلمة واحدة، حاولت معها كثيرًا ولكنها تأبى الاستماع.

كان فضولي يزداد أكثر فأكثر، كي أعلم سبب انفصالهم المبهم ذاك، لماذا انفصلوا كل هذه السنين كيف الوقت لم يكن كافيًا لينسي أمي، يا ترى ما الخطيئة التي لا تُغفر يا أمي؟، سأفعل شيء، لا أعلم ما هو ولكنني أريد أن أجمعهم مرة ثانية.

عندما كان أبي يتكلم عن أمى وأنه طوال هذه السنوات لم يملأ قلبه سواها أتعجب! كيف لأراس أن ينساني في يوم؟ وربما في ساعة أو ربما في دقيقة، هل سأكون مثل والدي ولن أنسى؟

بعدما تناولنا الطعام، ذهبت لغرفتي كي أستريح من سفري، عندما دخلت الغرفة أمسكت بهاتفي وأرسلت رسالة لأمي نصت على:

"لن تمضي سوى بضع ساعات ولكن اشتقت يا أمي، أردت أن أُعلمكِ أنني بخير وتناولنا الطعام للتو أنا وأبي، أحبكِ دومًا".

ثم غفيتُ وذهبت بثبات عميق و كأنني لم أَنَمْ يومًا.

استيقظت في اليوم الت إلى لأجد أبي أعد الفطور وترك لي ملاحظة على المائدة نصت على:

صباح الخير يا أميرتي، أرجو أن تعتادي على البيت سريعًا، أحبك"

قضيت اليوم الأول والثاني في البيت أتجول من غرفتي للغرف المجاورة، من الحديقة الخلفية للأمامية ومن الطابق الثاني للطابق الآخر حتى اعتدت عليه جيدًا، في صباح اليوم الثالث من وصولي تركيا كان أجمل ما قد يكون، فهذا هو اليوم الأول لي في عملي الجديد بل هو أول يوم لي في حياتي الجديدة، كان كل شيء جديد، عمل جديد، منزل جديد، غرفة جديدة، ملابس جديدة، حتى مساحيق التجميل، كل شيء كان أجمل مما حلمت به، كان شيئًا ما يبعث بداخلي الأمل في أن كل شيء سيكون على ما يرام، سيعم الفرح و السرور على قلبي مجددًا، بتُ أيقن أن حياتي الجديدة ستكون أفضل مما رسمتها في مخيلتي، أخذني أبي إلى الشركة لأبدأ أول يوم لي.

وحينها رأيتُ تركيا كما لم أرها من قبل، فالزحام غالبُ عليها ولكنه ليس عبء عليك بل هذا العبء يشعركَ بالأمان، و يمحي من مخيلتك معنى الوحدة، لا تعلم للوحدة معنى عند مشاهدتك لزحامها، فهى أشبه بقطعة الحلوى التي يتنافس عليها آلاف الأطفال ليحصلوا عليها، فتجد

جيشًا من الأطفال أينما تحركت الحلوى، هذه هي تركيا، فبحرها، وجوها، وسماؤها الصافية وشمسها التي تعم الدفء على كل سكانها، وجوها الممتلئ بالطمأنينة والسكينة التي تحل على قلبك، ونسمات هواؤها أشبه بالورد عندما يلامس وجهك.

كنت أصوب نظري عليها وكأنها المرة الأولى التي أنظر إليها فيها، لم أستطع أن أملأ عينيّ وذاكرتي من جمالها، فقد وصلنا للشركة سريعًا، لم أشعر بالوقت كيف مر بهذه السرعة، رغم أن الشركة بعيدة عن المنزل، ولكن لم أشعر بالوقت قط، كنت غارقة في جمالها يا لها من بلدٍ جميلة، لم ترى عيني مثلها قط.

وها قد سمعت صوتًا يقول:

Gunaydin, Aline (صباح الخير يا إلين)

فهمت أنها ترحب بي ولكني لا أجيد التحدث باللغة التركية فبالكاد أفهم بعضًا منها، أنقذني أبي من هذا الموقف وقال:

_ هى لا تجيد اللغة التركية، تواصلي معها عن طريق لغتها

_ tamam،özurdilerim ، özurdilerim

(أنا أسفة ، أعتذر ، تمام)

_مرحبا يا إلين، أنا فتون، أغرمتُ بتصاميمكِ وأتمنى أن تكوني سعيدة بالعمل معنا كفريق واحد.

"فتون" زوجة صديق أبي، تملك هذه الشركة، و هي فائقة الجمال _أقل ما يقال_ تسحرك بجمالها، تقف منبهر أمامها، عيونها بلون السماء بشرتها ناصعة البياض، زوقها راقي في اِختيار ملابسها، تشبهني في أشياء كثيرة، أحببتها منذ لقائنا الأول، تملك مقدار ما يملكه الجميع من الطيبة واللين بداخلها.

فأجبتها قائلة:

بالطبع سأكون سعيدة بالعمل معكم كفريق واحد، شكرًا لكِ.

وبعدها أخذتني إلى مكتبي الجديد وقالت:

_أتمنى لكِ دوامًا سعيدًا، ألقاكِ بعد قليل.

حسنا، شكرًا لكِ مجددًا.

وبعدها استأذن أبي لكي يذهب هو أيضًا إلى عمله، كان الوضع ليس مريحًا فالجميع يتكلم وأنا لا أفهم ما يقولون إلا القليل، يصوبون أعينهم بنظرة مفعمة بالاهتمام لي، وكأنني شيء غريب، ليس مألوف لهم، أو ربما وجهى يوجد به شيء غير طبيعى، ظللتُ أتفحص وجهي في المرآة طوال الوقت، كنت طبيعية جدًا، لماذا ينظرون إلى هكذا ؟!

هاتفت أبي..

_أبي لست قادرة على فهم أي شيء، لا أدري ماذا أفعل...

اهدئي يا صغيرتي، إن الأمر طبيعي...

_أيُ طبيعي، أقول لك لم أفهم أي شيء.

ألين كل تعاملاتك ستكون مع فتون خانم، لا تكترثين ولا تحملي الأمر أكثر من حده، إنه اليوم الأول.

_حسنًا.

لم أتمنى يومًا أن أكون تحت رحمة الوقت، أنتظر الوقت لينتهي اليوم لأعود للبيت، إنه يشبه أول يوم لي في الجامعة عندما بقيت وحيدة، خجلة من أن أحادث أحدهم ولا أحد يأتي لمحادثتي، ولكني الآن لا أفهم لغتهم كي أحادثهم بها، فالأمر ازداد سوءًا، الآن فقط عرفت معنى الغربة وها قد تم لي معناها.

ترى ماذا يفعل أراس الأن (تأففت)، وما يشغلني به الآن؟ فليذهب للجحيم حتى، لا يهمني أمره ، لماذا أفكر بهذا الأحمق، توبة توبة أستغفر الله

لقد طلبتني فتون خانم لمقابلتها في غرفتها ولكن لا أعرف الغرفة، طلبت من أحد الموظفين أن يشرح لي كيف سأصل إليها، ولكنه لم يستطع أن يفهمني فخاطبته بلغه الاشارة وها هو يصطحبني إلى غرفتها الآن.

وصلت أخيرًا وطلبت الإذن منها كي تسمح لي بالدخول.

gel.Aline_، (تعالى يا إلين)

Ozur dilerim(أعتذر)

ولكنى معتادة على التحدث باللغة التركية، تعالى يا إلين اجلسي.

_ لا توجد مشكلة، أنا أتفهم الوضع.

حسنًا إذًا، أريد منكِ أنْ تصممي مجموعة جديدة لتكون وجه الشركة لهذا العام، وأريدكِ أن تبدئي حالًا.

_حالًا!!

_evet(نعم)

كيف وجدتِ تركيا؟ هل أحببتِها؟ أم تشتاقين لِمصر؟

_جئت لتركيا من قبل، فأنا أعشقها ولكن بالطبع اشتقتُ لِمصر.

أنا أيضًا أحب مصر كثيرًا، ستبدئين في التصاميم الآن وسأتي إليكِ بعد قليل، حسنًا؟

_حسنًا، أشكركِ

الشكر لله، sevgilim (يا حبيبتى)

ذهبتُ إلى مكتبي كي أبدأ برسم التصاميم التي ستكون وجه للشركة وحافز لي كي أظل عند ثقتها بي، ولكن لم أستطع أن أتوقف عن التفكير في أمي فأرسلتُ لها رسالة أخبرها بأنني بخير، وأتمنى أن تكون هي أيضًا كذلك، ثم احتسيتُ القهوة التركية _نوعي المفضل_ ثم عدت مرة ثانية لرسم التصاميم، حين بدأت بالرسم لم أستطع أن أتوقف، وعندما كنت أنهي التصميم الخامس، أتت فتون خانم لتقول:

_ كنت أعلم أنكِ ستفاجئينني، كنت أعلم، من الأفضل لنا مجيئكِ إلى هنا يا إلين، أحسنتِ.

انتابني شعور بالسعادة لأنهم نالوا إعجابكِ.

ثم قالت:

_ هيا بنا

إلى أين؟

_ألا تريدين تناول غداء جماعي؟!

بالطبع أريد، حسنًا سآتي فورًا.

بدأت بجمع أشيائي، ثم ذهبتُ خلفها، ذهبتُ إلى منزلها لأجد أبى وزوجها وعائلتها التي جعلتني أشعر بدفء العائلة مجددًا.

"كاجين" مازالت تدرس في المرحلة الثانوية تشبه والدتها كثيرًا، عيونها وبشرتها البيضاء شعرها ممتزج بالنحاس والذهب معًا.

"محمد" الذى كان يدرس في الجامعة أعتقد أنه لديه الكثير من المعجبات، فهو شاب ذو جسد رياضي طويل القامة، شعره كسواد الليل مثل والده، وعيونه سوداء ذات الرموش التى تطغي على خديه، ولحيته السوداء، كان فائق الجمال.

جولين" ذات السابعة عامًا كانت تمتلك عيون والدتها وبشرتها ولكن تمتلك شعر مثل الذى يمتلكه محمد الحريرى الاسود الغزير.

صوت ضحكاتهم ملأت قلبي بالأمانِ وشعرت بالطمأنينة لكوني معهم، تناولنا الطعام معًا وقضينا وقتًا ممتعًا ثم ذهبنا أنا وأبي إلى البيت.

(٣)

أراس

هربت من المنزل، وأخذت سيارتي، وذهبت إلى البحر لأشكي همومي له، ولكن البحر ما زادني سوى همًا فوق همي، فشعرت بكم ضخمًا من الألآم يحرق صدري، لم أستطع البكاء حاولت لربما تقيدني ولو قليلًا.

خسرت كل شيء، خسرت إلين، كل ما أملك، كل شيء، خسرت أمي، حتى والدة إلين خسرتها هي أيضًا، خسرت كل شيء، ولم يبقى لي سوى الألم، متى سينتهي البؤس؟ متى سيعم الدفء على قلبي مجددًا؟ لماذا الوقت لا يتفق معي، كيف للوقت أن يكون عدو لحبي لها؟ لا أعلم من أين أتيت بالدفتر والقلم، فلم أجد نفسي إلا شاكِ همومي لسطور وأوراق دفتري، فلم يسع حزني البحر، لم يستطع البحر أن يشفي ما بداخلي، لم يستطع أن يهون على همومي وآلامي، علمت أن البحر يشفي الهموم فلماذا لم يشفيني منها! و علمت أنه يشفي ما بداخل المرء من تعب ويمتص غضبه ليجعله هادئ مثل هدوئه في ليالي الصيف الدافئة فلماذا معي لا يحدث هذا؟

لم أشعر الا وقد كتبت هذا في دفتري ..

"لا يشعر بقيمة الوقت سوى المتربص لحدوث شيء ما، المسافر لمكان ما وسيترك كل ما يملك وسيرحل، و المحب الذى يود أن يبوح بحبه لمحبوبته، فكل دقيقة تمر عليه كأنها عمر بأكمله، وعندما يخذله الوقت، في هذه اللحظة فقط يتمنى ذاك الشخص أن يتوقف الوقت ويعود للوراء ولو قليلًا، لكي يحاول تغيير مصير حياته التعيسة تلك، ولكن بدون جدوى، فلم يبقى له سوى الندم، الندم فقط، ومع كل دقة عقرب من عقارب الساعة سيندم ستون عامًا، ومع كل ساعة سيندم ستمائة قرن"

بعدها ذهبت للمنزل وأغلقتُ غرفتي جيدًا، حاولت أمي التحدث معي ولكني أبيت ذلك، فأنا لا أريد التحدث معها، رؤيتها تذكرني بكل ما بداخلي من غضب تجاهها، أتناسى ما حدث ولكن بدون جدوى لم أستطع أن أبقى في الغرفة كثيرًا، عندما كانت الساعة الواحدة والربع مساءًا، أخذت بعض الأغراض من غرفتي وما أذخره من نقود، وتركت المنزل، ذهبتُ لأبعد مكان يمكنني الذهاب إليه، لا يعرفني أحد فيه،

ولن يجدني أحد فيه، فلقد توقفت عن الذهاب لعملي كما أنني غيرتُ رقم هاتفي.

بدأت حياة جديدة مستقلة مثلما فعلت إلين، حياة من دون أحد فقط نفسي، من دون أمي التي دمرت حياة إلين وعائلتها، من دون الفتاة الوحيدة التي أحببتها بكل ما بداخلي من حب، الفتاة التي دائمًا تكون سبب حزني وفرحي وسبب نهوضي من فراشي كل يوم فقط لرؤيتها، سبب تحملي كل ما مر بي لأنني كنت أعلم أنها ستكون بجانبي دومًا، كنت مخطئ، رحلت فكيف لي أن أعيش بدونها.

بينما كنت أتذكر إلين شعرت بالحزن اتجاه أسيل، تلكَ الفتاة التي أحبتني، الفتاة التي أرادت انتش إلى من قاع حبي ل ألين لأحبها هي، الفتاة الوحيدة التي أرادت مساعدتي والبقاء بجانبي دون أدني مقابل، وتفهمت حبي لفتاة أخرى غيرها.

لم أرد يومًا أن أجرح أسيل، كنت أريد إخبارها أنه لا فائدة من جعلي أحبها فأنا لن أستطيع أن أنسى إلين، ولن أستطيع حبها هي، أو حتى التمثيل بهذا، لا أستطيع فعل ذلك، فكرت كثيرًا في الاتصال بها

وإخبارها، ولكني لا أملك الشجاعة الكافية مثلها للبوح لها بما في داخلي، أو ربما الأمر ليس له علاقة بالشجاعة فأنا لا أريد جرحها لأنها لم تفعل ما تستحق أن يجرح به قلبها، فقط طلبت منها مساعدتي وهي وافقت، و لا اريد أيضًا أن تحني رأسها أمامي، لا أريد أن أرى يأسها أمامي، لطالما كان لديها أمل أن أحبها، كيف سأقول لها أنني ما زلت أحب إلين؟ ولن أستطع نسيانها كيف سأقول لها أن إلين ألقت على لعنتها ورحلت؟ كيف لها أن تسامحني على ما فعلته لها؟.

كان على ألا أجعلها تخوض معي تلك اللعبة، اللعبة التي دمرت حياة الكل، لو لم أخضها لما خسرت إلين، ولما كنت علمت حقيقة أمي، وكنت لا زلت أمتلك حب والدة إلين، اللعبة الحمقاء التي دمرتني ودمرت الكل، فكلنا منهمكون بالهموم والآلام التي نحملها بداخلنا، لو لم تقتحم تلك اللعبة التي صنعتها حياتنا لكان كل شيء على ما يرام، ولكني أحمق مثلما كانت تقول إلين لي دوما على سبيل الهراء ولكنها بدت لي حقيقة الأن، كيف لي ألا أفهم أنها تحبني؟ كيف لي ألا أفهم نظرة

عينيها في ذلك اليوم؟ كيف لي ألا أفهم أنها أخيرًا قد فتحت لي قلبها المكبد بالسلاسل والممتلئ باللغم؟، كيف لي ألا أفهم ما تريد قوله؟

عندما كنت سأنال ما أردته في حياتي بأكملها، ذهبت كالأحمق لأقابل غيرها وأمسك بيديها، لست أحمق فقط بل جميع الحيوانات كلها تجمعت في اسمي، وعندما كانت سترحل ظننت من حمقي أنها أحبت أحدهم وبدل التشبث بها تركتها تذهب وهي غاضبة.

كيف ل ألين إن علمت يومًا أن أمي هي سبب تيتمها وهي تملك أبا، كيف لها أن تستمر بحب ابن المرأة التي دمرت حياة عائلتها؟كيف لها أن تحبني، فأمي دمرت كل شيء..

لماذا يا أمى؟

أعلم، ستقولين أنه الحب اللعين الذى عمى بصيرتك وقلبك وعقلك وجعلكِ تقومين بكل هذا، هل كنتِ تظنين أنكِ ستكسبين قلبًا ليس لكِ؟ كيف لم يقف ضميرك في طريقك ويمنعك؟ كيف كنت تمثلين حبكِ ل ألين ؟ دائما كنتِ تقولين أنها ابنتكِ، ولكن كيف للأم أن تكون مصدر تعاسة ابنتها؟ لا أفهم!

أحمد الله أن والدي مات قبل أن يرى يومًا كهذا، إن كان أبي مازال هنا؛ لما كان سامحكِ على فعلتكِ هذه أبدًا، ماذا فعلتي يا أمي.

****

(٤)

ألين

بعدما انتهينا من الغداء ألقينا على العائلة السعيدة السلام ومن ثم ذهبنا، اشترينا بعض الأغراض للمنزل وبعدها عدنا للمنزل، أنا و والدي كنا نشعر بالتعب من كثرة الأحداث التي حدثت في هذا اليوم، كان يومًا مليء بدفء العائلة، والضحك وكثرة المزاح، والكثير من العمل أيضًا، كان اليوم الوحيد المثاليًالي في تركيا.

عندما كنا على طاولة الغداء، كان كلما رأى أبي صديقه وفتون خانم يتحادثان مع بعضهما أو مع أحد أولادهما كان وجه أبى أشبه بالطفل الذى يقف منبهر أمام لعبة يود شرائها ولكنه لا يستطيع؛ فإما قد رفض أهله أو ليس لديه ثمنها، وإذا تحدثت معهم واختلطنا سوًيا كان وجهه يضحك كأنه يقول لي لطالما اشتقت يا ابنتي لدفء العائلة، فلتحل عليكِ السعادة وليمتلئ قلبك بالدفء مجددًا.

عندما أضحك كان وجهه يضحك تلقائيًا وكأن العالم لم يسلب منه شيء قط، كان ينظر لوجهي وكأن العالم بأجمعه في ضحكتي، فإذا نظر إلى حينها، ملك العالم.

أبى هو ملهمي دومًا، يقع في عشق تصاميمي منذ نظرته الأولى لها، يقف منبهر لي وأنا أرسم، أبي هو سبب ما وصلت له الآن في شركة فتون خانم وسبب ثقتي بالتصاميم التي أرسمها منذ أن كنت طفلة..

كانت الساعة الثامنة مساء عندما عندنا للمنزل، أعددت الفوشار ومن ثم طلبت من والدي أن يأتي لنشاهد التلفاز معًا، وها قد جاء، كنت له أنيس في وحدته التي أجهدته، وكان لي عوض عن حضن أمي، كنا نتبادل الهموم بطرق أخرى غير الشائعة، كان كل منا ممتن للآخر لأنه موجود بجانبه.

وعندما أصبحت الساعة التاسعة والربع كان على أن أنهى بعض التصاميم التي كلفتني بها فتون خانم، استأذنته كي أذهب لغرفتي، وعندها قال لي أنه مرهق وعليه الاستيقاظ باكرًا فيجب أن يخلد للفراش الأن.

ذهبت لغرفتي كي أنهى التصاميم، لا أعلم كيف بدأت التفكير في أراس ومنذ متى وأنا أفكر به فلقد وجدتني استجمعت ذكرياتنا أمامي، لم أدرك مدى صعوبة هذا الأمر على سابقًا، ولكني أفتقده الآن كثيرًا.

ليس بالشيء اليسير أن تنتهي من روتينك وعاداتك اليومية، حيث كان أراس أشبه بروتيني فكان كل ركن من روتيني أراس موجود به، عندما أستيقظ أجد رسالة منه، يخبر العالم فيها أنه ما زال بخير لأنني موجودة فيه، وعندما أذهب للشركة نتقابل في لينتادا في وقت فراغنا، نتناول الطعام سويًا ويأتي المساء كي نقص القصص ونروى الحكايات ونتفقد أحوال هذا وهذه، وعندما أرسم كان ينظر إلى منبهرًا، كأنه يقول كيف لكِ أن تجسدي الخيال في صورة أجمل مما هو عليه.

أعلم أن نسياني له أشبه بالمستحيل فمجرد التفكير أنني أتيت إلى هنا كي أنساه يذكرني به، في كل شيء أتذكره، أفتقده حد السماء، كيف حاله الأن؟ أيتمنى عودتي؟ أتمنى أن يكون بخير لأكون أنا بخير.

لم أستطع أن أتوقف عن التفكير به فقررت أن أكتب له كل يوم رسالة ورقية ولأكتب له بداخلها عن مدى حبي له وعن ما شعرت عندما رأيته

مع فتاة أخرى وعن مدى افتقادي له وعن مدى حمقه، سأخبره عن عينيه وعن ما حدث لي، ولكن هذه الرسائل ستظل فى صندوق مخبأة بداخله وستموت عندما أموت أنا فلن يقرأها.

فعلت ذلك كي أتوقف عن التفكير فيه ولو قليلًا، لا أنكر أنني ينتابني الفضول عن حالته عندما يقرأ رسائلي تلك؟ التي من المستحيل أن يقرأها، ماذا سيفعل إن علم أني أحبه، غلبنى النعاس فغفوت قبل أن أضع الرسالة في صندوقها.

جاء أبي ليتفقدني في الليل لربما أحتاج لغطاء، أو أكون مازلت مستيقظة أعمل على التصاميم فيعد لي فنجانًا من القهوة، وعندها قرأ أبي الرسالة التي كتبتها لأراس، لم يتعمد أن يقرأ ما كتبت، أعلم ولكن ما حدث زادني حزنًا، لم يقل كلمة وكأنه لم يقرأ شيء، فقط أفاقني من غفوتي لأذهب للفراش كي أنال من الراحة قدر المستطاع.

لم أحب أن ينظر أحد في دفاتري، والدتي كانت حريصة ألا تقرأ ما كتبت، وعلى عكس جميع الأمهات لم ينتابها الفضول أن تعرف ماذا أخبئ عنها وماذا يوجد في داخلي، لم تفتح لي دفترًا قط، لأنها تعلم أنني

أفضل امتلاك قدرًا من الخصوصية لي ولا أحبذ تجاوزها، و ربما لأنها كانت على دراية وعلم بكل شيء لم تنتابها الرغبة في معرفة ما كتب بدفاتري، أمي الوحيدة التي تفهمني دون الكلام، تفهم نظرات عينيّ وإماءات وجهي، ربما لأنها تفهم كل شيء لا تعبث بأشيائي ولكني أحب هذا حقًا.

عندما استيقظت في الصباح لم أجد أبي في المنزل خرج باكرًا وترك لي رسالة وعندها علمت أنه قرأ الرسالة لم أكن أعلم أنه قرأها فعندما أيقظني لم يكن بيديه أي رسائل، و لكن عندما قال لي أنه قرأها عن طريق الخطأ علمت أنه قرأها، فعندما وقعت عليها عينيه لم يستطع ألا يكمل قراءتها، وطلب مني أن أسامحه على قرأتها.

تساءلت ماذا أفعل، كنت خجلة منه كثيرًا، ولكني ارتديت ملابسي وأخذت التصاميم التي رسمتها ليلًا ومن ثم ذهبت للشركة، عرضت تصاميمي على فتون خانم وكانت إماءات وجهها وملامحها تزداد انبهارًا شيئًا فشيئا مع كل تصميم قمت به، وشكرتني كثيرًا وطلبت منها إذن للخروج فوافقت وخرجت، أرسلت لأبي رسالة نصت على

"أبي لقد خرجت من الشركة للتو ما رأيك أن أعد لك الطعام اليوم ونتناوله معًا؟"

فوافق وذهبت للمنزل كي أبدأ بتجهيز الغداء.

****

أراس

بعد أسبوع من اختفائي التام دون الذهاب لأي مكان سوى القهوة والبحر، كان على إخبار أسيل بأني أنهيت اللعبة التي بدأتها، وكان على أيضًا الاعتذار منها، أعلم جيدًا أنها لا تستحق ما سأفعله ولكنني لست قادر على حبها ولست قادر على جرحها، ولكن ماذا سأفعل غير هذا.

ظللت أماطل في القول لها حقيقة ما أشعر به، وما أود قوله حتى صرنا في منتصف الأسبوع الثاني من اختفائي، جلبت هاتفي، وظللتُ أحاول الاتصال ولكنني كنت مترددًا فيما سأقول عندما تجيب.

ماذا لو لم أستطع القول؟ استجمعت شجاعتي واتصلت بها.

_أسي...

أراس، هل هذا أنت!!!

_أسيل سأقو...

بصوت تغمره اللهفة والسرعة

هل أنت بخير؟

_استمعي لي وحسب، نعم بخير.

هل تظن أنك فعلت شيئًا خارقًا باختفائك، أنت أنانيٌ للحد الذي لا حد له، أفعلت هذا كي تقلقنا!!

كان لها كل الحق فيما ستقول فتركتها تقول ما تريد قوله ولكنها قالت(تقلقنا)، إلين عادت؟ كيف سأجعلها تقول هذا فقلت لها.

_تقلقنا!!!

أجل، فوالدتك كادت تموت قلقًا عليك.

قولت بداخلي، أمي مجددًا ولكن لماذا تقلق على الآن أليست هي سبب رحيلي؟

ومن ثم قولت لها:

_حسنًا دعكِ من كل هذا، أود مقابلتكِ.

بالطبع، أين أنت؟

قالتها بلهفة وتلقائية كأنها لم تصدق ما سمعته.

_سأرسل لكِ عنوانًا وتعالِ هناك.

حسنًا.

أرسلت لها عنوان المكان، كان المكان هادئ أو يمكنني القول أنه فارغ طيلة النهار، ولكنني لم أذهب إليه ليلًا فلا أعلم إن كان هادئًا أم لا، هو المكان الوحيد الذي استجمع بقايا نفسي فيه كان هذا المكان قريبًا من البحر، ممتلئ بالمقاعد فقط، ليس فيه أى شيء آخر سوى المقاعد.

جاءت، وعندما جاءت وقفتُ كي أرحب بها، ولكنها أدهشتني بما فعلت، فعندما رأتني هرولت بكل ما أوتيت من سرعة، ومن ثم ألقت بنفسها على منكبي.

ومم ثم قالت:

_أنت ساذج يا أراس، أتعلم كم قلقت عليك، أتعلم كم الهلع الكامن في صدري منذ أن رحلت خشية حدوث شيء سئ لك؟

لم أنطق بكلمة ولم أضمها مثلما فعلت هي، كنت متعجب لما فعلت، كيف سأشرح لها بعد ما فعلته؟ كيف سأقول لها لا أستطيع أن أحبك كيف؟ كيف سأقول أريد إنهاء تلك اللعبة وأنت متشبثة بملابسي هكذا، ثم دفعتها بيدي قليلًا، و قلت لها:

_بخير بخير، لا تخافي، اجلسي!

من نظرتي لها علمت بنفسها أني سأنزل عليها صاعقة الأن، وعلمت أنا، أنها تهيئ نفسها للصاعقة التي ستحل عليها بعد قليل، وربما فهمت أيضًا.

_أسيل، لا أعلم من أين سأبدأ، أعلم أنه تم استغلال قلبك من قِبَلِي، أريدك أن تعلمي أنني نادم أشد الندم على ما سيحدث لكِ ولكن...

قاطعتني ومن ثم قالت:

خلاصة القول؟

ارتبكت قليلًا لأنها كانت حادة الإيماءات عندما قالت لي هذا، ولكن كان على إنهاء هذا الموقف بأي شكل ممكن، فاستجمعت كلماتى وكنت أعلم أن كلماتي هذه ستكون أكثر حدة مما كنت سأقول لها في البداية ثم قلت لها:

_أعتذر، لن أستطع تناسي إلين.

لا يا أراس، بل أنا أعتذر!

لم تقل أسيل كلمة أخرى، تركتني ورحلت دون أن تنظر خلفها، ولكني رأيت في عينيها الحزن و إلى أس مني، شعرت بالندم على فعلتي هذه، فأنا لم أستطع مجددًا أن أدخل الفرح والسرور على قلبها مثلما كانت تفعل معي دائمًا، لم أستطع ألا أكون سبب حزنها مثلما أكون دائمًا، ومع ذلك تركتها تذهب وأنا ألوم نفسي على ما فعلته بها، فلقد جعلتها تتعلق بي ومن ثم تركتها في منتصف الطريق، ولكنني لم أعلم أن النتيجة ستكون بهذه البشاعة فقد ظننت أنها ستجعلني أتوقف عن حبى ل ألين وأحبها، كنت أبله، ظننت أنها ستغيرني وتزيل تلك اللعنة التي ألقتها على إلين ومن ثم رحلت.

ظننت انى لن أجرحها إن حاولت معي بل سأدخل السرور على قلبها، ولكني فوقت كل توقعاتي البلهاء تلك، ألقيتُ عليها لعنتي ومن ثم ذهبت مثلما فعلت إلين لي.

لن ألوم إلين على فعلتها، فلقد فعلت مثلما فعلت هي، أتمنى أن تسامحني أسيل يومًا ما وتعلم أن الأمر لم يكن بيدي يومًا، ولو كان الأمر بيدي لَما كانت هذه حالتي الأن ولَما كان هذا مصيري.

لم أراعي شعور أسيل أو بمدى حزنها، قلت لها كل ما بداخلي دون تجميل الجمل أو تزيين العبارات، لم أفهم لماذا قالت أسيل أنها تعتذر، ربما قالتها لقلبها لأنها جعلته يصدقني وأنه سينال مراده أخيرًا أو ربما لأنها تعلم أنها لم تستطع محو إلين من قلبي.

لا أعلم ولكني محاط بالحزن من جميع جهاتي وزوايا قلبي الهشة، لا يوجد مفر من الحزن، أينما ذهبت أجده يلازم صدري، بت لا أعلم على ماذا سأحزن أولا.

حزني على فقدان إلين، أم على أمي، أم على ما فعلته بأسيل، على أي منهم سأحزن اولا.

إنه متعب حقا أن تقف في منتصف الطريق، لا تعلم إلى أين ستذهب؟ أو حتى كيف؟، كل ما تعرفه هو الشعور بالوحدة والغربة أينما ذهبت، تأبى أن ترضى بما أنت عليه الأن، ولا تعلم إلى أين ستذهب، ولكن إلى أين ستذهب حقا، فكل الطرق تؤدي إليك.

****

(٥)

ألين

اشتريت في طريقي بعض الأزهار له مثلما كانت تفعل أمي لتنال رضاه، لا أعلم من المذنب ولكن لا يمكنني أن ألقى عليه اللوم وحده، إن كنت مكانه لتتابني فضولي وقرأتها ولما كنت أخبرته أنني قرأتها ولكنه يشعر بالندم لقراءتها فجعلني أخجل من نفسي أنا أيضًا مثله.

انتهيت من تجهيز الغداء، وانتظرته كي يأتي وها قد جاء.

_ لما تأخرت هكذا يا أبي، ظننتك نسيت أمري لوهلة.

لم أنتهي سوى الأن يا ابنتي، كان يومًا ثقيلًا.

_سأضع الطعام بينما تخلع ملابسك.

جهزت السفرة كما يمكن أن تكون، ونداديته كي يتناول الطعام، وجاء وعندما جلس أمامي لم يقل شيء و لكنه ثغرة كان مزدحم بما يدور بخاطره وصوب عينيه على وكأن الكلام يأبى الخروج، بدأت أتناول الطعام كي يفعل مثلي ويكف النظر لي ولكنه بقى ينظر إلى صامتًا، فقاطعت صمته لأقول:

_أم أن الطعام لم ينل إعجابك؟

بقى صامتًا أيضًا، أعلم أنه لن يستطع تناول الطعام قبل البوح بما في جوفه، تغلب على صمته ثم قال:

ألين ، أنا ..

حاولت التخفيف من حده موقفه، وأنتشله من التفكير فيما سيقوله لي، لأقول:

_لم أحزن منك قط يا أبي، كما أنك يسرت على الأمر كنت أريد أن أشكي لأحد من نيراني الثائرة ولكني لم أستطع البوح، هيا تناول الطعام ومن ثم بعدها سأقص لك القصة بأكملها.

بدا على وجهه الارتياح قليلًا وزال الارتباك الذى كان مخيم على وجهه منذ وصوله للمنزل، وبدأ بتناول الطعام، ووضع لي من الاشياء التي أحبها في طبقي مثلما يفعل دائمًا.

وبعدما انتهينا من الغداء أعددت القهوة لكلانا وطلبت منه أن نجلس في الحديقة الخلفية للمنزل، ثم قصصت له قصه أراس بأكملها، ظل

يسمعني حتى انتهيت لم يتفوه بكلمه ثم بدا الاضطراب يزداد على وجهه وقال:

ألم يكفِ ما فعلته والدته.

بدا لي ما أسمعه غريب فما دخل والدته بما فعله هو، ماذا فعلت؟، تخلصت من حيرتي بسؤالي له.

_والدته!، وما دخل والدته بما حدث؟

لا يوجد شيء، لا تكترثي للأمر، كان يومًا شاقًا، سأخلد للنوم الآن.

تهرب من سؤالي مجددًا، ولم يزده سؤالي سوى حزنًا، ماذا حدث قبل العشرون سنه الماضية، بدا لي هذا الشيء غريبًا، أتطلع لمعرفة ما حدث، محاولتي لعدم اكتراثي لهذا الأمر تبوء بالفشل الذريع

لماذا لم يقل أبي شيئًا، لماذا لم ينصحني بماذا أفعل أو حتى كيف يمكنني نسيان أراس، ولماذا قال هكذا عن والدته، ظل عقلي مشغول بهذه التساؤلات طوال الليل لم أستطع النوم.

لم يجب أبي على سؤالي ولكنني أعلم سوف يأتي اليوم الذى سيبوح لي بكل شيء مثلما فعلت أنا اليوم، الفضول كاد يقضى على ولكنني سأنتظر وأستمتع بلذه النصر في النهاية.

****

بعد مرور شهرين..

أراس

طوال الأيام الماضية، لم يتغير شيء في حياتي، كانت كما هي، بائسة ولا يوجد فيها غيري، ولكنها لم تكن بهذا السوء

فأحيانا من كثر من حولك ومن يرافقك تحتاج لبعض الوقت أن تبقى وحيدا_رغم أني أكره الوحدة كثيرًا_ لتهدأ روحك، ولتهيئ عقلك للتعامل مع مشاكلك مجددًا، ولتتعرف على ذاتك، تعرف أدق ثغرات وخبايا روحك، ماذا تحب؟ ما الذى تتظاهر أنك تحبه ولكنك تمقطه؟، هل تحب الهدوء؟ أم يشعرك بالخوف، هل تحب احتساء القهوة حقا، أم تحب احتسائها لأنها تجدد لك خلايا مخك النائمة لتيقظها، گ مثل كابوس يأتيك في منتصف الليل، فيقظك من نومك ممتلئ بالخوف والهلع فيجعلك غير راغب في النوم مجددًا.

ولكني بدأت بعمل، أصبحت مستقل بذاتي غارق في أفكاري، لم أسمح لأحد بتجاوز حاجز وحدتي، فقد وضعت اللغم والقنابل بشكل عشوائي حولي، وأحطت نفسى بسور من حديد، ما أن لمسه أحد مات إثر ماس كهربي، صدرت لي روايتين حققوا نجاح لم أكن أتوقعه، كما

كتبت بعض المقالات أيضا، أنشأت رأس مال لى، من أكثر شىء أنتمى له، الكتابة.

إنها الكتابة التي تأخذك في رحلة بين شطأنها، تبحر في الشاطئ الذي تحبه، دون قيود، دون أن تفرض نفوذها عليك، تشعرك بأنك حر، حر فيما تحب أن تكتب، وتسمح للجميع بالكتابة أيضا.

كما أنها تنتشلك من قاع أفكارك البائسة الحمقاء، لتأخذك بين سطورها، وتمن عليك بالدفء والراحة.

الكتابة ليست مجرد أوراق وأقلام، فهى تكن لي الحياة، أغرق بين شطور قصائدها، وأقع فى حب كلماتها ومعانيها، هي مثل النور الذي أنارعتمتي، وجدت نفسي بداخلها، أنارتني فرأيت الأشياء كما لم أرها من قبل.

مرور الشهرين لم يكن بالشيء اليسير، الأيام الماضية كانت من أسوأ ما عشت ولكن أحيانا أطلق عليها أجمل أيام حياتى، ولكنب اشتقت كثيرًا، لم تغب إلين عن حلمي يومًا قط، كانت بجانبي دائمًا، أجدها فيما أكتب، وفيما أقرأ، كما أنها استعمرت قلبي الذى يأبي أن يتوقف عن حبها، ويأبى

أن يعلن ثورته على فرض نفوذها عليه، ولكن إذا كانت إلين لعنتي، وأمي ابتلائى، وأسيل ذنبي، سأستغفر حتى يزيل الله عنى تلك الألام التى أهلكتني، وسأصبر حتى النهاية.

****

(٦)

ألين

صباح تلو صباح، يوم تلو يوم، لقد مر حتى الأن شهرين ونصف منذ مجيئي إلى تركيا، شهرين ونصف لم أرى أراس قط، حتى أنني كنت أهلك نفسي في العمل حتى يأتي في حلمي ليلًا، ولكنه لم يأتي ليوم واحد قط، كما أني لا أريد أن أرى صورنا معًا وذكرياتنا كي لا أشتاق أكثر مما أشتاق، متى ستحدث المعجزة التي ستجمعنا مرة أخرى؟، لا أعلم أحواله لم أسمع خبر واحد عنه منذ أن رحلت، ولم أسمح لأحد أيضا أن يحادثني فى أمره، ولكني كنت أريد معرفة أحواله، لا أدرى ماذا أريد ولا أعرف كيف سأتخلص من حبه والتفكير فيه طيلة الوقت، ولكني أعلم جيدًا أنني عند علمي أنه ليس على ما يرام، سأترك كل شيء وأذهب إليه، وربما لهذا السبب لا أريد معرفة شيء عنه، فأنا لو رأيته مجددًا فلن أستطع نسيانه طوال حياتي وسيصبح نسياني له شيء خُلِد من المستحيلات التي لن تحدث أبدًا.

كنت أكتب له كل يوم رسالة وأضعها في الصندوق لا أعرف إن كان هذا الشيء يساعدني على نسيانه أم حبه، ولكنه على الأقل يجعلني أتوقف

عن التفكير به قبل نومي قليلا، أكتب كل أفكاري المتجسدة فيه والتي تدور حوله، لأستطيع النوم دون اضطرابات النوم المزعجة، من دون أرق الليل البشع، كيف لي أن أنساه وأنا أكتب له كل يوم أنني أحبه وأنني اشتقت له أيضًا، ربما يأتي اليوم الذي سأحرق هذه الرسائل فيه أو ربما يأتي اليوم الذي أخلدها للأبد عندما تحدث المعجزة ونعود أنا وأراس كما كنا في البداية.

لم يتغير شيء ولم يجد جديد، ولكن قبل شهرين وحتى الأن، ونجاح تصاميمي يزداد يوم بعد يوم، حتى أنني صرت لا أستطيع التصديق أنني من صمم هذه التصاميم، رأيت النجاح الذي لطالما حلمت به أمام عيني وكان في نماء مستمر.

حققت ما أردت أن أحققه قبل مجيئي إلى هنا، كما أنني صنعت لنفسي مكانه مرموقة في الشركة وليس في الشركة فقط بل بداخل تركيا أيضًا، فبعض الممثلين التركيين أعجبتهم تصاميمي، وتحاكوا فيما بينهم عن جمال التصاميم وصارت الشركة أكثر نجاح من ذي قبل.

كما أن أبي افتخر بي أكثر من ذي قبل، كان هو كل عالمى طوال الأيام الماضية، حاولت أن أجعله يبوح بما في صدره ولكنه لم يرد أن يجيب علي، ما هو الذنب الذى فعله أبي حتى يجعل أمي لا تريد مسامحته؟، كيف لأبي هذا الشخص بريئ القلب والذى يحب بلا مقابل، والذى أقفل قلبه على أمي طوال الأعوام الماضية، أن يقع في ذنب لا يغفر؟.

جاء لفتون خانم طرد على الشركة وستضطر للسفر إلى ألمانيا وكانت لا تريد أن تترك ابنتيها بمفردهما فوالدهم لن يستطيع العناية بجولين الصغيرة، فطلبت منها أن تجلب جولين وكاجين إلى منزلي لحين عودتها من ألمانيا، فوافقت، وذهبت لأخذهم معي.

في بداية الأمر لم تكن جولين الصغيرة المدللة تريد أن تفترق عن والدتها، ولكن عندما علمت أنها ستمكث معي إلى حين عودت والدتها وافقت، الأمر كان مختلف لدى كاجين التى مازالت في المرحلة الثانوية، كانت تأبى أن تترك المنزل وتأتى معي ولكن عندما رأت أمها مصرة على أن تبقى مع أختها الصغرى ومعي وافقت، ولكنها لم تكن سعيدة كما كانت

جولين، ودّعوا والدتهم وجهزوا أغراضهم كي يأتو معى، ثم ذهبنا للمنزل معا.

قضينا وقتًا ممتعًا معًا إلى حين مجيىء أبي، كان وجهه مليء بالحزن، وكان مثل الذى خيم إليأس على وجهه، لم يقل لي "أنا أتيت يا صغيرتي" مثل كل يوم بل لم يتفوه بكلمه واحدة، سألته ماذا به، ولكنه لم يجب على سؤالي ، ودخل إلى غرفته، ليست من عاداته أن يدخل لغرفته أولا، فأول ما يفعله هو المجيء إلى المكان الذى أجلس فيه، حتى إن كنت أجلس فى حديقة المنزل يأتي إلى أولا، ثم يطلب مني أن أعد له الغداء وأحيانا كوبًا من الشاي الأخضر، ثم يذهب لتغيير ملابسه، وجهه لم يُطمئنْ قلبي وجعلني أقلق أكثر فذهبت كي أطمئن عليه.

_أبي، ماذا بك؟

_ تعالى اجلسي بجانبي.

صار القلق يستحوذ على وصرت لا أعلم كيف يَهدأ توتري، ماذا به يا ترى؟، لعله خير.

_فتون...

_ما بها

كادت ضربات قلبي أن تمزق أضلعي وتخرج بقلبي خارجًا من شدة التوتر والقلق الذي حل بى.

تعرضت لحادث من عند ذهابها للمطار

_وكيف هي؟ لا تقل لي أ...

_وضعها خطير، إنها في العناية

لم أستطع التحدث شعرتُ وكأن صخرة ضخمة على صدري، ولكن لم يكن البكاء متاح لي، حتى لا تشعر ابنتيها "كاجين وجولين" بالفزع وشيء من الخوف والقلق الذى سيطر عليهما، كان على أن أخبئ ما بداخليالي الوقت المناسب، هل كانت جولين الصغيرة تأبى أن تترك والدتها لأنها ستتركها للأبد؟، و سترحل.

كان على أن أتماسك وأمثل السعادة، وأرسم الابتسامة الزائفة على وجهي كي لا يشعروا بشيء، أعدت الغداء الذي ساعدني في تحضيره

كلا من كاجين وجولين، ووضعنا الطعام سويًا على مائدة الغداء، ثم ناديت أبي كي يأكل، لم يأكل أبى شيئا يذكر وكذلك أنا، كانت نظرات كاجين وجولين بداخلها أسئلة كثيرة، هل هناك خطب ما؟ ماذا بكم؟، لما لا تأكلون، فكانوا هم أيضًا لا يتناولون الطعام كانوا خجولين لأننا لم نبدأ أنا وأبي بعد فبدأت أنا كي يبدأ كلًا منهم، ولكني كنت أنظر إليهم نظرات حزن وأفكر كيف للحزن ألا يخجل فى أن يسكن قلب كلا من كلتا البريئتين، عندما يعلموا بالحادثة التي وقعت والتي من المحتمل أن تغير حياتهم.

لليوم الثاني في حياتي، أتمني ألا يأتي الغد ولكن أعلم أنه سيأتي دون محاله، أتمنى ألا يحدث شيء سئ وأن تكون فتون خانم بخير غدًا، وبعدها استأذنت كلا منهم أنا ووالدي كي يذهبوا ليكملوا دراستهم.

رأيت أبي مهموم فذهبت كي أواسيه في حزنه وأتبادل معه الهموم.

_أبي، أتسمح لي بالجلوس.

بالطبع يا صغيرتي، تفضلي

_أبي لا تحزن ستكون بخير غدًا

ألين

_ماذا

سأقول لكِ شيئًا

_وما هو

لم أعد تحمل كتمان أمر هكذا.

_يا أبي أرجوك قل، لقد نفد صبري

فتون...

_لا، لا تكمل، لا يمكن

إنا لله وإنا إليه راجعون

لم أستطع أن أسيطر على نواحي وبكائي الشديد، كيف للأشخاص الذين نحبهم أن يرحلوا عن عالمنا بهذه السرعة، لم نكتفي منهم بعد، لن نستطيع أن نكمل يومنا بدونهم، أحسست وكأن أمى أنا التي توفت

وليست مديرتي، كانت أجمل ما رأت عيني، جمالها يطغو على كملة الجمال، كيف سأستطيع إخبار جولين الصغيرة أنها لن ترى والدتها مجددًا، كيف لكاجين أن تستمر فى حياتها بدون والدتها، أخذني أبي بداخل زراعيه وجذب رأسي لمنكبه وحاول تهدئتي، لم نكن نعلم كيف سنخبر كاجين وجولين بخبر وفاه والدتهم، وبعد برهه من الوقت، دق جرس الباب فذهبت لأفتح وكانت جولين ورائي عندما سمعت صوت سيارة والدها نزلت من الطابق العلوى لتقابله، عندما رأها احتضنها وبكى بكاء لم أرى رجل يبكه قط، إنه محطم كليًا، لتقول له جولين الصغيرة.

_ Annem geldi¨ (هل جاءت أمي)

وليزداد بكائه أكثر من ذي قبل حتى أن صوت بكائه جلب كاجين من الطابق العلوى وأتى بأبي من الحديقة الخلفيه للمنزل، لم أستطع ألا أبكى وأنا أنظر إلى بكائه.

ليقول لها

Anne ¨olgu , jolien

(ماما توفت يا جولين)

لتصرخ كاجين إثر هذه الجمله التى أتت عندما سمعت صوت والدها وتحاول أن تذهب للبيت ركضا على أقدامها كي ترى والدتها، ولكن استطاع والدها اللحاق بها وجلبها إلى حضنه وبكيا سويًا واستقلوا السيارة ومن ثم رحلوا.

ذهبنا أنا وأبى خلفهم فما كان علينا أن نتركهم بمفردهم في يوم كهذا كان هذا اليوم من أبشع الأيام التى رأيتها في حياتي، اشتقت لأمي كثيرًا وخفت أن يحدث لها شيء قبل أن أخذ ما يكفيني طيلة حياتي من حضنها وحنانها، مر هذا اليوم بالكثير من البكاء والخوف وأخيرًا مر اليوم ولكن الوجع ما زال موجود بداخل قلوبنا جميعًا، أنا وأبي وزوجها وكاجين وجولين ومحمد، رحلت فتون خانم ولكنها ستظل في داخلي طالما حييت، لن أنسى طيبتها يوما، ولن أنسى ثقتها بى ودعمها لي كي أصل لما أنا عليه الأن.

من بعد ذلك اليوم لم تطيب لي تركيا بما فيها، كما أن الشركة أصبحت كئيبة يعمها الحزن و إلى أس، كانت فتون خانم تنشر السعادة في كل

أنحاء الشركة، كانت بطيبتها ودفء قلبها وحبها للجميع وعفويتها، تحل على الجميع الاطمئنان والسكينة والسعادة.

غابت فتون خانم و غابت معها شمسنا فهي مصدر كل شيء، مصدر بهجتنا وثقتنا وضحكنا، كانت عوض عن أمى التي لم أرها منذ أن أتيت إلى هنا، فقط بعد غيابها عنى أحسست كم أنني أفتقد أمي، كل يوم أذهب فيه للشركه أشتاق لها أكثر من اليوم الذى مر قبله، لم أعتد ألا ألقاها كل صباح، تهاتفني لتقول لي "أريد احتساء قهوتي معكِ" ، ثم نقضى وقت أتمنى دقيقة أخرى أقضيها معها، ستظل في قلبي دائمًا

وكلتني فتون خانم لأدير الشركة بعدها إلى حين إتمام محمد جامعته، لأنها تثق بي، ولكنها لم تكن تعلم أنها هى التي تمدني بثقتى هذه، هى السبب فيها، أفتقدها كثيرًا، أراها في جميع أركان وزوايا الشركة، أراها في وجه ابنتها جولين الصغيرة فهى تشبهها كثيرًا، لذلك أحب أن اصطحب جولين معي كثيرًا فى بيتي أو حتى في الشركة، أحب النظر لوجهها كثيرًا.

بعد يوم عمل ممل في الشركة، هاتفني أبي ليقول:

_ إلين، ما رأيك أن نتناول الغداء معًا اليوم.

_لا تنتابني الرغبة ولكن حسنًا، متى؟

_أمهليني ثلاثون دقيقة وسأتي إليكِ.

_حسنًا، سأكون في انتظارك.

كان أبي يشعر أنني لست على ما يرام، لطالما أراد أن أقبل أن أشاهد معه التلفاز أو الذهاب معه إلى أي مكان ولكننى كنت أأبى الذهأُباليأى مكان، أعود للمنزل بعد يوم طويل لا أريد فعل أى شيء سوى النوم، لا أهتم بأى شىء، ويحاول معي مرارًا أن أفعل أى شيء كما كنت أفعل في السابق ولكن لم أكن قادرة على فعل أى شيء ولكن الأن أريد أن أشعره أنني بخير، كفاه قلقًا عليَّ.

ثم جاء أبي ليأخدني من الشركة وذهبنا للغداء كان كل شيء طبيعي إلى حين انتهاء الغداء، كان أبي صامتًا منذ أن صعدنا السيارة لكي نعود للمنزل، كان مضطرب وكأنه يريد قول شيء وليس لديه القدرة ليبوح لي، ولم أطيل في تساؤلي لماذا هو صامت هكذا، ليقول:

_منذ وقت طويل أحاول مرارًا أن أقول لك شيئًا ولكني أفشل.

ثم صمت ثانيه وحنى رأسه، لأقول له:

شيء!، وما هو؟

_أعلم أنكِ لن تسامحيني، ولكن اعلمي أنني لم أكن أعلم بكل الترتيبات هذه، ولا أعلم كيف حدثت تلك ال...

لم أفهم!

_أقصد الشيء الذي حدث منذ عشرون عامًا، الشيء الذي أقصاني عنكم.

حسنًا، أبي أريد أن تعلم شيئًا قبل أن تروي لي ما حدث، أتتذكر اليوم الذي قلت لك فيه، أنني أسامحك على ما حدث رغم عدم إلمامي به وأنني سأساعدك في أن تنال مسامحة أمي أيضًا، لست ابنتك الآن فأنا صديقتك، وأسامحك بالطبع.

بقى ينظر إلى وكأن الكلام يأبى أن يجعله ينطق به، وكأن السر يأبى أن يُكشف بعد العشرون عامًا، ثم نظر لعينيَّ وقال:

_حسنًا، لا أعلم من من أين أبدأ، ولكن...

هيا يا أبي، تالله أسامحك.

ابتسم لي ثم وضع يدي بداخل يديه ونظر إلى ومن ثم قال:

_في أيام شبابي كنت أحب فتاه قبل أن أتعثر بوالدتك، حدثت أشياء أفنت تلك العلاقة، تعذبت كثيرا كي أنسي تلك الفتاة، ومن بعدها قابلت والدتك وأقسم أنني أحببتها وبعدها تيقنت أنها هي الحب الأول لي شعرت شعور مع والدتك لم أشعره قبلها، تيقنت أن شعور اتجاه تلك الفتاه لم يكن حب إطلاقًا، لأول مرة أشعر بوخزة بقلبي عندما تتلاقى عينينا سويًا، وما زلت أحبها وسأظل، ولكن...

ثم صمت ثانية فحاولت ألا أشتت تركيزه وأجعله لا يطيل في صمته كاد الفضول أن ينتشلني من هدوئي ليجعل غضبي يثور في وجهه إثر صمته، فقولت له:

ولكن!!!

_عندما أتممت عامك الرابع التقيت بتلك الفتاة مرة ثانية، واعتبرتها صاحبة لي وهي كذلك، وجعلتها هي ووالدتك يلتقيان على أنها صديقتي، وبعدها نشأت علاقة صداقة قوية بينها وبين والدتك...

وماذا حدث بعد ذلك؟

_بعدها بمدة قصيرة هاتفتني وقالت أنها تود مقابلتي وأرسلت لي عنوان موقعها، وذهبت إذ تقول أنها تريدني أن أتزوجها وأنها مازالت تحبني ولم تنساني يومًا، وما لبثت أن مات زوجها حتى تدخل حياتي كحبيبة لي مجددًا، رفضت كل ما قالت وحاولت إبعادها عن حياتي، ولكنها كانت صديقة أمك وأنا لم أستطع أن أبوح لأمك بشيء، كما أنك كنت صديقة لإبنها وكنت تس ألين عنه باستمرار...

ابنها!!

_أجل

ومن هو!!

_أراس

ماذا!!!!!!، أتقصد أن تلك الفتاه هي نفسها الخالة "ديمه"

_أجل إنها هي

كانت الدهشة وملامح التعجب طاغية عليّ، ولكن لم أرد أن أجعل الحوار يتوقف أو أن يحدث شيء قبل أن أتعرف على القصة بأكملها، فخبأت دهشتي إلى النهاية وطلبت من أبي أن يكمل ما كان يقوله، فقولت له:

وبعد ذلك ماذا حدث.

_ظلت تحاول التقرب مني كلما سمحت لها الفرصة، أكدت لها أنني أحب زوجتي ولم أعد أكن لها شعورًا بالحب قط، ولم تكن تكف عن محاولاتها كانت تريدني وحسب وفي يوم من الأيام...

صمت مرة ثانية، و أحنى رأسه، ثم انتشل يديه من يدى ونظر إلى الطريق، أدركت أن هذا اليوم هو سبب الغربة والفراق طوال العشرون سنة الماضية، هذا اليوم الذى تركنا أبي فيه وأمى منهارة، لم أكن أستطيع أن أهدأ وفضولي يكاد يخرج ليواجه أبي ويجعله يعجل في الحديث، فلم أستغرق وقتا طويلًا حتى قولت له:

وماذا حدث بهذا اليوم؟

_هاتفتني ديما لتقول أن أمر سيء حدث لها وكان صوتها منزعج ومجهش بالبكاء، تريديني أن أهرول مسرعًا إلى بيتها، فذهبت خشية حدوث أمر سيء لها ولأراس، فهي تكن بمفردها هي وابنها، وتالله لم أكن أعلم أن الأمر...

وبدأ أبى يضرب رأسه بالزجاج وبدا عليه الغضب والندم، ونظر إلى مجددًا وكأنه قرأ في عيني أنني أريده أن يكمل فلست قادرة على إطالة الصمت وتحمل الفضول؛ ليقول

_عندما وصلت وجدت الباب مفتوحًا، فطرقت على الباب فلم يجب أحد عمت الهدئة الأرجاء، ولم يكن لأنين الصوت من وجود، فدخلت وتركت الباب مفتوحًا ولم أغلقة، إذ بكل شيء من حولي يظلم فجأة وما هي إلا وهلة حتى تضاء الأنوار ولأري ديمه أمامي بجسد شبه عارٍ، غضيت بصري عنها وهي لتأتي وتلقي نفسها بين زراعيّ، وإذ المكان ممتلئ بالشموع والورود الملقية أرضًا وأشهى أنواع الطعام، وبينما أغلق عيني وأفتحها لأتأكد أنني لست بداخل كابوس مرعب، أسمع أنين

بكاء فأنظر لمصدر الصوت لأجدها والدتك تنظر إلينا من باب المنزل، لم أستوعب ما حدث ومن ثم ذهبت أمك وتركت البيت وذهبت أقسم أنني لم يكن لي علم بكل هذا، أقسم.

وبدأ أبي في البكاء وأنا أحاول تهدئته ولكنه لم يهدأ إلا عندما نفدت الدموع من عينيه وتبدل لونها من اللون الابيض إلى اللون الأحمر، كان أبي لا يتمتم جملة واحدة وهو يبكي "أعتذر".

اعتقدت أمي أن أبي يخونها مع صديقتها ولكنها لا تعلم أن صديقتها من أوصلت أبي إلى هذه الحالة، سأفعل شيء حتى أعيدهم مجددًا، لا أعلم ما هو ولكني سأفعل كل ما بوسعي، فبداخل قلب أبي حب لأمي يملأه، فكلما تحدث عنها لمعت عينه، وبمجرد نطق اسمها تعود لوجهه البهجة ويتنفس بعمق كأنه الأن فقط قد استعاد عافيته بعد مرض أهلكه وأنهك جسده وروحه، لن يموت هذا الحب، هذا الحب نادرًا أن يكون موجود مثله حتي الآن، سأنقذه بكل ما أتيت من جهد سأفعل أي شيء ولن أسمح لأحد أن يمد أنفه في حياتنا مجددًا.

لم أستوعب ما قاله أبي، وكأن صاعقة تلو الأخرى تهبط على قلبي، ولكنني لم أكن مهتمة بمدى شدة الصواعق قدر اهتمامي، بكيف لوالدة أراس أن تفعل هذا بي، لقد بكيت لها مرارًا لأنني أفتقد أبي كيف كانت تواسيني وهي سبب رحيله عني، كيف تعاملت معي وكأنها أمي التي تكن لي الحب، فكيف للأم أن تكون هي تعاسة أولادها، خدعتني وخدعت أبي وربما خدعت أراس أيضًا، كيف لها أن تفعل هذا، ألا تملك قلب يعلم ما هو المعنى الصحيح للحب، ألا تملك ضمير يجعلها تقوم بتصحيح ما فعلته منذ زمن، ألم تنم يومًا بسبب عذابها لما فعلته بنا، أم أنها لم تندم طوال هذه السنين الماضية كنت أشتاق لأبي بسببها هي، وأمى كانت تبكي فى كل ليلة بسببها هي، الأن قفط، الأن فقط أدركت لماذا أمي لا تذهب معي لرؤيتهم ولا تود مقابلتها، كنت أتعجب ولكنها كانت دائما تجد مبرر لعدم مجيئها معي، كيف كانت تتعامل وكأن شيء لم يحدث، كيف؟

ثم ذهبنا بعدها أنا وأبي للمنزل منذ أن وصلنا للمنزل وهو منكس رأسه ولا يتفوه بكلمه واحدة، شارد في أفكاره لم ينتبه أنني جلبت له فنجان

قهوة، بل لم ينتبه إلى، فأردت التحدث معه قليلًا لأخفف عنيه أرقه ولنتشارك الهموم كما نفعل دائمًا، فقولت له:

_أعلم أن قهوتي لست جيدة إلى حد كبير ولكنها لا بأس بها

نظر إلى ثم ابتسم وفرد زراعيه كي يحتضنني، فذهبت إلى بيتي ومصدر دفئي وملاذي ومآوای، إنه حضن أبي، في كل مرة يحتضنني فيها أشعر وكأننى طفلة صغيرة أضاعت لعبتها المفضلة و وجدتها، أشعر مثل شعورها حين وجدت لعبتها فى حضن أبي، عندما كنت صغيرة ذات الخمسة سنوات أتذكر يوما كان الجو ممطر جدًا وكان صوت الهواء مخيف لم أستطع النوم إلا بين زراعيه، لطالما كنت أنزعج من صوت نبضات قلبه عندما كنت طفلة ولكني كنت أقول في نفسي دومًا لا بأس بذلك فهذا المكان الوحيد الذى يشعرني بالأمان، تذكرت طفولتي معه وطفولتي من دونه، و اختلط شعور الحزن والسعادة لديّ، ولكنني حاولت ألا أجعل للحزن مكان في قلبي، فحاولت إظهار السعادة حتى أكون سعيدًا فيما بعد، ظل يحتضنني فترة ثم قال:

بمناسبة القهوة ، أتعلمين أنها ألذ قهوة أتذوقها في حياتي.

ابتسمت بمزيج من الخجل، ثم قلت له:

_ليس إلى هذا الحد

بل له ولما بعده

_أتعلم أنني أحبك

وأنا كذلك

ثم غادرت الغرفة وذهبت لغرفتي لأقوم ببعض المهام فمنذ أن رحلت فتون خانم والعمل ثقل عليّ، ومهما فعلت لم أستطع أن أنجزه ولكني كنت أحاول، بعد أن تعبت من العمل، أرسلت رسالة لأمي أنى أود محادثتها في شيء هام وعليها أن تترك لي رسالة فور رؤيتها رسالتي.

ثم ذهبت لأعد لي فنجان قهوة لأستمر في العمل فلا زال أمامي الكثير من الأعمال لإنجازها، ذهبت لأجد أبي شارد في أفكاره أمام التلفاز، ينظر إليه ولكن عقله في شيء أخر ثم ذهبت لإحضار هاتفي لألتقط له بعض الصور لأمرح معه بها، التقت له بعضهم ثم ذهبت لأريه إياها بينما كنا نضحك على الصور التي التقطتها له، هاتفتني أمى:

_ألين، هل أنت بخير، إلين، ماذا حدث لكِ

ساد الصمت وظل أبي صامت يستمع لصوت أمي وكأنه يستمع لأكثر معزوفة يحبها، ظل صامتًا وممتزج الشعور، فكسرت جاجز هذا الصمت؛ لأقول:

بخير يا أمي

_لقد مت قلقًا، وما هو الشيء الهام إذًا

أمي، والدي

ثم صمت لأستجمع كيف سأقول لها فلم أعد نفسي بعد لم أكن أعرف أنها ستحادثني في هذا الوقت.

_ماذا به، أحدث شيء سيء له؟

كان أبى سعيدًا بل في قمة السعادة لأنه أحس لهفتها في حديثها ومدى خوفها عليه، وتأكد من أنها ما زالت تبادله نفس الشعور.

لا لا إنه بخير.

تنهدت ثم قالت:

_أكملي حديثك لقد زاد توتري.

استجمعت ما أريد قوله ثم استجمعت شجاعتي ومن ثم قولت لها:

سأقول ولكن استمعي لي لحين انتهاء حديثي

صمتت وكأنها أحست بما يجول بخاطرى، ثم قالت :

_حسنًا

أبي ظلم يا أمي لم يفعل ش..

لم أنتهي من جملة واحدة حتى قاطعتني بنبره غضب لتحذرني أن أحادثها مرة ثانية في هذا الأمر وكانت تهديداتها كلها لي، أفاضت أمي بما في داخلها من غصب وألقته كله على ومن ثم أغلفت المكالمة، لم أكن قلقه سوى على والدي لأنه كان يستمع للمكالمة معي وبعدما أغلقت أمي المكالمة نظر إلى ثم قال:

_ألم أقل لك أنني حاولت مرارًا

كانت نبرة صوت أبي تمزق قلبي تمزيقًا، شعرت بمدى عجزي أن أفعل شيء، أبشع شيء أن تكون لست قادر على تبرير موقفك كمثل أبكم لا

يجيد لغة الإشارة فليس قادرًا أن يبرر شيء أو أن يُنفس عن ما في داخله، فيموت بما داخله، دون البوح به.

أبي، أريد العودة لمصر في الحال

_لِما؟

لكي تستمع أمي لي

_لن يجدي بالنفع، فلقد حاولت آلاف المرات، ولم تكن تستمع

ربما تستمع هذه المرة، لن نخسر شيئًا، سنحاول فقط، عليك أن نفكر من الآن بماذا ستجلب لي حين مسامحتها لك.

ضحك وكأنني تلفظت بما يحلم به وكأننا نتشارك الحلم ذاته، ثم قال بصوت تملأه الفرحة

_كنوز الدنيا ستهون على عند مسامحتها، ستنولين أي شيء تريدينه.

القيت بنفسي بين زراعيه، ثم قولت له أن كل شيء سيكون على ما يرام وأنني أحبه كثيرًا، فرد على قائلا:

_إن كان للحب من آخِر ف آخِره لك

لا آخِره مع غيري

ضحك ليدخلنى بداخل حضنه مرة ثانية ليداعبني في وجهي وهو يقول:

_قردة، قردة

انتظر وسترى ماذا ستفعل تلك القردة

تنهد ومن ثم قال:

_سأنتظر

استطعت أن أدخل على قلبه السعادة يا ليتني أستطيع أن أحقق له ما يريد وأجمعه بأمي مرة ثانية، وقضيت معه بعض الوقت وطلبت منه أن يساعدني في إجراءات السفر لأسافر بأقصى سرعة ومن ثم ذهبت أنا لغرفتي وذهب هو لغرفته.

قضيت الليل وأنا غارقة في العمل حتى أنني لا أعلم متى ذهبت للفراش فلم أشعر سوى وصوت المنبه يقظني لأذهب للشركة، ذهبت للشركة كان كأي يوم مضى الكثير من العمل، الكثير من القهوة حتى

يمكنني الاستمرار ولكنها مجرد أيام و ابن فتون خانم سيحل محمد محل والدته، وأكون أنا كما كنت سابقًا كم أشتاق لهذه الأيام، ثم ذهبت للمنزل وفاجئني أبي بتذاكر السفر، لم أعلم كيف استطاع إيجادها بهذه السرعة ولكنني فرحت كثيرًا بها وقضيت الليل أنا وأبي بجمع أغراض لسفري ولكن مدة سفري لا تتجاوز ثمانية أيام فقط ولكنني سأتمكن بإذن الله من فعل كل شيء أريده.

****

(٧)

أراس

لا أعلم ماذا دهاني، لا أستطيع ألا أراها، فكرت أن أسافر لها لأراها من بعيد، ولكني لا أعلم أين تسكن، وإذا طلبت من والدتيها شيئا؛ فلن تجيب عليّ، بل إنها لن تعطيني الفرصة كي أتحدث، حتى إنها لا تريد رؤية وجهي، ولها كل الحق في ذلك، أنا لا أريد أن أرى نفسي فكيف لها أن تحب رؤيتي.

ندمت على ما فعلته بيكِ يا إلين، ألن تغفري لي، لم تستطع المسافات أن تحول بيني وبين حبي لكِ، لم تستطع أن تقصيك بعيدا عن قلبي، لم يتمكن الوقت أن ينسيني حبك، لم أستطع نسيان ملامحكِ، ملامحكِ كلها محفورة في أعماق قلبي، قلبي الذى تم احتلاله من قِبلَكِ، فإني راضي باحتلالكِ قلبي فهل لكِ أن تخضعي.

أحببتك في الثانية مئات الدقائق وفي الدقيقة آلاف الساعات وفى الساعة ملايين القرون، أحببتكِ وأحبكِ وسأحبكِ حتى يفيض الحب، سأظل عاشق لعينيكِ التي تشرق الشمس على عالمي المظلم الكئيب، عينيكِ

التي تضيئ ما بي من ظلمة منذ غروبهم عني لم تشرق شمسي، عينيكِ التي سحرتني بسحرها الأسود الذي لم أستطع أن أتخلص منه حتى الأن، هل لكِ أن تغفري؟، وهل لكِ أن تجعليني أرى وجهكِ ولو مرة واحدة فقط، وجهك الذى صار طابع على عقلي، وصورة محفورة في قلبي.

لن تعلمي يومًا مقدار حبي لكِ يا إلين، ولن تستطيعين إيجاد من هو جدير بحبكِ مثلي، سأنتظر مجيئكِ حتى نهايتي، التي أحس أنها اقتربت، سأحبك حتى أخر أنفاسي.

أعجز عن وصفك مهما ألفت من عبارات أظل عاجز عن وصفكِ، يا ليتكِ تعودين إلى.

كنت أكتب لها الكثير والكثير مثل هذا في دفتري، وإن لم تأتي فسأكتب رواية عنها وسأشهر بحبي لها علنًا أمام الجميع، وبالفعل بدأت برواية عنها، سأكتب كل شيء بداخلها، ستكون هذه رواية لعنتها التي حلت بي، لن أشفق على نفسي، أعلم أني جدير أن يحدث لي كل هذا، لن أسامح نفسي حتى تسامحني إلين أولًا.

أشرقت شمس يوم جديد، ولكن لم تشرق الشمس على قلبي يومًا، تنتظر عودة ملكتي كي تمن على بأشعتها الصفراء اللامعة، متى ستعودين إلى يا إلين.

عندما استيقظت في ذلك اليوم المشمس، وكأن الدفء رافض أن يمس جسدي، كان لدى بعض التعب والإرهاق، فلم أقدر على ترك فراشي والذهأُباليأى مكان، بينما كنت أفكر كيف سأصل ل ألين هاتفي يرن.

إنها أسيل، هل ستلومني على ما فعلته بها، أم أنها نسيت وتريد أن تفتح صفحة جديدة، أدهشني اتصالها بي، فأجبتها قائلا:

_أسيل، كيف حالك؟

ما بال صوتك، هل أنت مريض؟

رغم أنى سبب تدمير قلبها تسأل ما بي، وكأن قلبها رافض أن ينتشلني منه، وعقلها رافض ألا يفكر بي، وصوتها يأبى ألا يطمئن عليّ.

_لا تهتمي إنه مجرد سعال خفيف.

الحمد لله، أراس أريد أن أخبرك شيئًا.

_أستمع لكِ.

لن يُقضي هكذا، أريد مقابلتك.

_حسنًا، هل يؤجل للغد.

لا، بل كلما مرت دقيقة ستندم على ذلك

_أي أنه هام جدًا!

جدًا.

_لا أقدر على النهوض أتأتين أنتِ.

حسنًا، أرسلي موقعك وسأتي على الفور.

أرسلت لها عنوان منزلي الذى لا يعرف طريقه أحد، ماذا سيكون ذاكَ الموضوع الذى يستدعيها تتنازل عن كبريائها وتهاتفني وتأتي إلى، بقيت في مكاني حتى أتت، استجمعت عافيتي وفتحت لها الباب لكي تدخل، عندما رأيتها بقت صامتة دون الكلام ودون الحركة وكأنها قطعة ثلج متجمدة ثم بدأت قطعة الثلج تنصهر من حرارة شوقها لي، فأذنت لها بالدخول لداخل المنزل، لا أعلم ما أصابها ولكنها بقيت حانية رأسها

ولم تنظر لوجهي منذ أن دخلت انتظرتها أن تبوح بما في جوفها أو تبرر لي لماذا أتت أو تخبرني بالأمر الهام الذي أرادتني فيه، ولكن لم تتكلم لمدة تتجاوز خمسة دقائق وربما أكثر، حاولت أن أخترق حاجز صمتنا ولو قليلًا لأقول لها:

_ماذا تحبين أن تشربي؟

لتظر إلى وكأنها تعلم ما خطط له، أو ما أحاول قوله لها، لتقول:

أنت مرهق، كما أنني سأذهب بعد قليل، حسنًا ما أريد قوله هو...

ثم صمتت ثانية، لم أدرى ماذا أفعل حينها، الوضع أسوأ من ذي قبل، فأنا لا أعلم كيف أتعامل معها، هل أتعامل كصديق لها، أم حبيبها السابق، أم مجرد شخص عادى لا تربطنا أي صلة، فتركتها في صمتها وغرقت أنا في تساؤلاتي، حتى قالت:

أعتذر على ما سأقوله ولكن يجب أن تعلم.

ثم صمتت مرة أخرى، بدأ الفضول مع مزيج التوتر ينتابني، لأقول:

_وما هو

لتنظر إلى بعينيها الحزينتين وتقول:

والدتكَ تصارع السرطان منذ شهر.

_ماذا!!!!!!

لم تكن تريدني أن أقول لك شيئًا، ولكنها باتت هشة جدًا، لم تعد تقدر على مواجهته بجسدها الضعيف، أنا أعلم هذا منذ شهر ولكنها كانت تقول لي دائمًا أنها ستتعافي أولا ومن ثم تخبرك ولكنها لم تعد قادرة على الصمود والتحمل و تحتاج وجودك الآن أكثر من أي وقت.

وها قد تبادلت الصمت معها، لم أتذكر أنني قلتُ كلمة لها حتى ذهبت، بقيت صامتًا في مكاني، لا أعلم أيضا كم مر من الوقت وأنا صامت هكذا. حين عدت لوعيي، دارت حولي كل ذكرياتي مع والدتي، حتى لو أذنبت فإنها تظل والدتي التي لطالما آوتني بداخل حضنها، وسهرت الليالي وتعبت حتى صرت كما أنا، احتوت أصغر إنجازاتي.

حاولت أمي كثيرًا الوصول إلى ولكني كنت أتهرب من رؤيتها، كنت أشتاق إليها ولكني لم أستطع مسامحتها على ما فعلته فلو لم تكن هي من أخبرتني بهذا الخبر لما كنت صدقته.

وبعد فترة من الوقت لا أعلم مقدارها أخدت سيارتي وذهبت لأرى أمي.

مرارة الفقد تحول بينى وبين حياتي، عندما علمتُ أنني سأفتقدها للأبد، ولن أراها مجددًا نسيت كل شيء ولم أكن أريد سوى أن ألقي بنفسي بين زراعيها، ومن ثم أتوسل الله بالدعاء أن يتوقف الوقت وألا يأخدها من دنيايّ بهذه السرعة، ما زلت أحتاجها بجانبي، لم نحتفل معًا بعد بأول رواية لي كما وعدتها، لم أشاركها فرحت نجاحي، لم أكتفي من رائحتها بعد، لم أخذ من حنانها ما يكفيني بعدها، ما زلت أحتاجها..

طوال الطريق وأنا أتأرجح بين أفكاري، كنت أحرص أن أصل إليها بأقصى سرعة ممكنة، كان الطريق أطول من ما هو في طبيعته، كان الطريق لا ينتهى، و ربما الدقائق مكبلة بالأغلال عاجزة عن الدوران، كدت أن أفقد عقلي، وكأن شيء ينقض عليّ، كانت أفكارى لا تزيد حالتي إلا سوء.

وأخيرًا وها قد وصلت للمنزل عندما أوقفت السيارة ترجلت منها ثم وقفت أنظر للبيت وكأنني تمثال لا يجيد التحرك وبعدها سمعت صوت من خلفي يناديني...

فلم أجد نفسي إلا و إلى قت بنفسي بين زراعيها و انهمرت بحور عيوني لتلقي على منكبها أشبه الشلالات، كيف لي أن أغيب عن مأواي كل تلك الأشهر؟، كيف لي أن أكون ساذجًا للحد الذى سيبقيني نادمًا طوال حياتي، بقيت أحتضنها إلى أن استعدت جسدي، والأن يمكنني التحرك وصعدنا معًا للمنزل.

لم تذرف أمى دمعة واحدة وكأنها لم تكن تدرك على ماذا ستحزن ففضلت عدم إظهار مشاعرها، وبعدما صعدنا ساد الصمت على أرجاء البيت فأمهلتني دقيقة كي تحضر لي شيئًا، ولكنها عندما أدارت ظهرها أمسكت بيديها ومن ثم نَظرتْ هي لعينيّ التي فاض الدمع منها ثانية وطلبت منها ألا تتركني، هنا أدركت أمى أنني علمت كل شيء، وها قد بكت أكثر مما بكيت أنا، طوال فترة بكائها وهي بين زاعيّ لم تقل كلمة سوى(سامحوني)علمت أنها لعائلة إلين.

قولت لها:

_سنتخطى هذا المرض اللعين وستعودين كما كنتِ يا أمي، أعدك أني لن أتركِكِ مرة ثانية ولكن لا تتركيني أنتِ هذه المرة.

ظلت صامتة شاحبة الوجه لم تحرك عينيها حتى، فقولت لها:

_لماذا لا تجيبين على يا أمي

لتفلت يديها من يدي ومن ثم تقف وتقول:

لقد تمكن مني يا بني، طغى عليّ، طغى على جسدي بأكمله، أنا قادمة الأن من عند الطبيب...

_ إلى س هناك أمل.

بلى ولكنه أضعف من أن يكون واحد بالمائة.

_لا يهم سنحاول معًا يا أم...

أراس، إن كنت تريد أن تحاول معي حقًا فحاول جعل عائلة إلين يسامحوني على ما فعلت.

حاولت معها مرارًا أن تتقبل العلاج ولكنها لم تكن تريد أن توافقني الرأى، لم ترد سوى أن تجعل إلين وعائلتها يسامحوها، لم تكن قادرة ولكنها طهت لي الطعام مثلما كانت تفعل وأنا أقف ملقي بجسدي على الحائط لينتشله الحائط من انهياره وتنظر إلى بعينيها التي أكلهم الحزن فتبدل حالها من اللون الأبيض اللامع إلى اللون الأحمر.

أتذكر يومها لم نأكل شيء يذكر ومن ثم أخذتها بداخل زراعي ثم غفونا لم تكن ليلة عادية كانت من أسوأ ليالي عمري، فكيف لي أن أستفيق غدًا ولا أجد حضنها، كيف ستتركني وتذهب!، حاولت ألا أنام بسرعة، استنشقت رائحتها حتى ملأت رئتاي، أخدت من حنان حضنها حتى غفوت لم أستفيق سوى على صوت...

****

ألين

عندما أحضرنا حاجات السفر، خلدت للنوم باكرًا لكي أستطيع أن أتحمل متاعب السفر إلى مصر مرة أخرى، لم أخبر أمي أنني سأذهب أردت أن تكون مفاجأة لها عندما تجدني أمامها، وأردت ألا أجعلها تتذوق مرارة الانتظار والقلق على وأن تشغل بالها وأفتح باب للشيطان أن يوسوس لها لو حدث شيء ما إذا تأخرت.

وها قد وصلتُ للمطار ودعت أبي ومن ثم صعدت للطائرة، لم أكن أعلم ماذا سأقول لوالدة أراس ولكنها هي أملي الوحيد في تحسين علاقة أبي وأمي.

مضى الوقت سريعًا أسرع مما تخيلته، وها قد وصلت إلى مصر ثانية، لم أكن أعلم أني سأشتاق لها بهذا القدر، وأبتهج عندما أتلعثم في نطقي لعبارات الترحيب حين وصولياليها، لم أكن أعلم أنني سأشتاق لإستنشاق هواؤها بهذا القدر، حقًا لو لم أكن مصرية لوددت ذلك بشدة، لم تغنيني عن حبها أي بلد كانت فائقة الجمال، فهى حبيبتى الاولىٰ وموطني الدائم وعشقي الأبدي.

وصلت إلى البيت وعندما فتحت لي أمي بقت صامتة مندهشة وكأنها بداخل حلم، بقت عاجزة عن التكلم ثم سارعت في ضمي بين زراعيها، فاض الحب وكثير من الحزن وشدة الإشتياق في هذا العناق التي أوصلني بأمي مرة أخرى، كم كنت مشتاقة لها ولرائحتها ولدفئها وحنانها وشعوري بالأمان بجوارها، كم اشتقت لمكوثي معها في البيت ذاته، كانت تعد الطعام لها فشاركتها في إعداده بعد محاولات كثيرة في مساعدتها وهى تأبى لأنني متعبة من أثار السفر.

سألتنى عن سبب مجيئي فجأة دون إخبارها، فقلت أنني اشتقت لها وأردت أن أعد مفاجأة لها، تناولنا الطعام ثم احتسينا القهوة أمام التلفاز كما كنا نفعل دائمًا وتسامرنا حتى أهلكنا النعاس فنمت بداخل حضنها وأردت أن أستفيق باكرًا، قبل أن تستيقظ هي لأذهب لوالدة أراس دون أن تراني حتى لا تشعر أن مجيئي بسبب إصلاح ما أتلفته والدة أراس.

استيقظت الساعة السابعة صباحًا وأخدت هاتفي ومن ثم ذهبت سيرًا لبيت أراس فلم يكن بعيدًا عن بيتي.

****

أراس

كنت غارق في نومي إلى أن استيقظت فزعًا إثر صوت إلين، كانت منفرطة في البكاء ونبرات صوتها ترتفع شيئًا فشيئًا، وما هي إلا دقيقة وإذ بصرخات ترج جدران المنزل إثر قوتها، تستنجد بأحدهم ذهبت إليها والهلع يحتلني لأفهم ما يحدث.

وجدت أمي ملقيه على الأرض و ألين بجوارها تبكي، هل إلين لا من المؤكد أنني بكابوس كعادتي، ولكن كان كل شيء يؤكد أنه حقيقة، لم أكن أعلم ما يجب على فعله هل أحمل أمي وأذهب بها للمستشفى أم أواسي إلين في ضجيجها ونواحها وظنها بأنها السبب، حملت أمي وخرجت من باب البيت وكانت إلين تتبعني متلهفة، ذهبت معي إلين للمستشفى لم تتوقف عن البكاء لحظه واحدة، ولم أنطق أنا بحرف واحد، لم أذرف دمعت واحده ربما لأني كنت أتوقع حدوث هذا، وربما لأنني صدمت عندما رأيت إلين أمامي، كنت غارق في أفكاري مجددًا، لم أتخلص منها ولو للحظة واحدة، إلى أن خرج الطيب وقال إنها ليست

بحالة جيدة، وعلينا أن نودعها الأيام الآتية لأنها ستكون أيامها الأخيرة، حينها نظرت إلى ألين ثم قالت:

_لم أكن أقصد فعل هذا، لم أفعل شيء.

ظنت إلين أنها سبب مجيء أمي إلى هنا ولكنها لم تكن تعلم أن أمي مريضة، فأخبرتها كي تهدأ من قلقها وشعورها المستمر بالذنب، وها هي قد هدأت ثم قال الطبيب أننا يمكننا رؤيتها ولكن حظرنا من أن نتفوه أمامها بحالتها حتى لا تسوء أكثر مما هي عليه، ذهبنا إليها أمسكت إلين بيديها وقبل أن تقول لها أمي أنها أسفه، قاطعتها وقالت أنها سامحتها على ما فعلت وأن كل شيء سيكون بخير وطمأنتها وقالت لها لا تقلقي.

في بداية الأمر كنت مندهشًا من تصرف إلين، كيف لها أن تكون طيبة القلب هكذا، ولكني عندما استرجعت ذاكرتي وتذكرت أيامنا سويًا أدركت أنها هكذا طوال حياتها، فهي أطيب شخص رأيته يومًا ثم قالت أمي أنها تريد أن تتكلم مع إلين بمفردها فخرجت من الغرفة وتركتهم، وبعد ما يتجاوز الثلاث دقائق خرجت إلين هاتفت أحد ما ومن ثم عادت لأمي مرة ثانية، لم يمر وقت طويل حتى جاءت الخالة

نازلي(والدة إلين)، يبدو عليها التوتر والقلق وسألتني عن حالة والدتي، أدركت حينها أنني الوحيد الذى كان قاسي القلب مع والدته، فالأشخاص الذين أصيبوا من أثار ما فعلت أمي كانوا أكتر خوفًا عليها مني، ولكني كنت سعيدًا لأنهم سيستطيعون مسامحتها، فهذا كان كل ما تريده، ومن بعد ذلك خرجت إلين مع والدتها وطلبت والدة إلين مني ألا أترك أمي وأن أخبرها إذا حدث شيء، كانت الفرحة تنطلق من وجه كلتيهما، فاستنتجت أن كل شيء على ما يرام الآن.

لم نتكلم أنا و ألين يومها كثيرًا، ولكنني كنت مشتاق إليها للحد الذي لا حد له، أردت أن أبوح لها بمدى اشتياقي لها ولحديثي معها، وليومي وهي تملأ كل حزن فيه سعادة بضحكتها، لم تسمح لي الفرصة ولكني كنت سعيدًا بعودتها.

****

ألين

عندما وصلت لبيت أراس ترددت كثيرًا أن أدق الباب، كنت خائفة من أن أرى عينيه مرة ثانية، خفت أن أتعلق به أكثر، خفت من أن تضيع محاولاتي في نسيانه سدى ومن دون أدنى فائدة، ولكنني من جهة ثانية أريد أن تزول وتمحى العوائق التى تحول بين أمي وأبي، حتى ولو لم أكن أنا أستحق الحب، فسأمنحه لمن هم جديرين به، ظللت فترة أدق باب منزل أراس، ومن داخلي كنت أريد أن يفتح هو الباب كي أراه، ولكن والدته سارعت وفتحت الباب لي وكان يبدو عليها أنها مستيقظة للتو، كما أنها كانت متوترة قليلًا وكأنها كانت تتساءل من يأتي باكرًا هكذا، عندما رأتني حاولت أن تحتضنني ولكنني أبيت ذلك وأبعدت يديها عني، ثم بعد ذلك فتحت لي الطريق، دخلت وجلست وبعدها بوحت لها بكل الألآم التى بداخلي قلت لها كيف فعلت هذا بي، كيف كانت هي سبب تعاستي، بوحت بما يجول بخاطري وبما في أعمق مكان في قلبي وانهمرت دموعي وكانت هي الأخرى يسيل على خديها الدمع سيلًا متت إلى ا، وبعدها أخذني الحماس وارتفع صوت بكائي وأنا ألومها، كنت أتلفظ بكلمات تجرحني وتخدش قلبي أنا، فكيف بقلبها هي ولم

تتسارع حتى فقدت وعيها وهي تبكي، ظننت أنها ماتت بذبحة صدرية، أو ربما ارتفع ضغطها، لا أعلم ولكنني ظللت أبكي حتى وجدت أراس أمامي وهو يحمل أمه وكان متلهف للغاية، ذهبت خلفه ولم أتركه، ظل القلق مسيطر على إلى أن قال أراس لي أنها مريضة ولهذا فقدت وعيها.

قلت لها أنني سامحتها وطلبتْ هي من أراس أن يغادر الغرفة، قبل أن تتفوه بكلمة ربت على يديها قائلة:

سامحتكِ لأنني لم أرى أي شيء، سمعت فقط، ولكن هناك من هي جديرة باعتذاركِ لها.

_نازلي

سأهاتفها وستأتى إلى هنا وسأساعدكِ حتى تسامحكِ.

طلب مني أن أحتضنها وأن تقبلني وبعدها اتصلت بوالدتي وقولت لها أن تأتي فحالتها خطيرة، ومن ثم جاءت والدتي وكنت متأكدة أنها ستأتي فوالدتي تملك قلبًا يملك طيبة العالم بأكمله، قصت لها الخالة ديمه كل شيء كما قال لي أبي، كانت ضحكت أمي تزداد اتساعا شيئًا فشيئًا عندما

كانت تظهر براءة أبي رويدًا رويدًا، سامحت أمي الخالة ديمة، فمرضها قد شفع لها كل شيء.

دائما نظن أن الداء ابتلاء، ليس كما يبدو لنا مطلقا، فلو لم يكن تكفير للذنوب، سيكون لكسب مزيد من الحسنات.

ومن ثم خرجنا أنا وأمي من المستشفى وذهبنا للبيت، كل شيء كنت أحلم به تحقق أخيرًا ، أخيرًا حققت هدفًا، اليوم كسرت الجدار المنيع الذى كان يحول بين أبي وأمي.

زال غضبي من أراس عند رؤيته، زال كل شيء حتى أنني نسيت لماذا كنت غاضبه منه، أردت فقط أن أتكلم معه كما كنا نفعل دومًا، اشتقت له كثيرًا، لم نتحدث كثيرًا في ذلك اليوم لأننى كنت أريد أن أنجز ما أتيت كي أنجزه، وأنجزته

عندما خرجنا من المستشفى حضنتي أمي، ومن ثم بكت فسألتها عن سبب بكائها ضحكت ومن ثم قالت أنها أسعد شخص اليوم، فقد رجعت لها الحياة مرة ثانية، كيف للحب أن يكون أشبه بالغول الذى يسلب منك طعم الحياة بدونه لسنا سعداء وحتى به تعساء، ما هو

الحب، عندما تحب شخصًا لا يحبك، فتكف عن حبه، يأتي إليك مسرعًا، وإن كنتم ثنائيًا مفضلًا يتسابق الجميع لكي يفسد هذا الثنائي!!!.

ذهبنا للمنزل وفور وصولي هاتفت أبي ورويت له ما حدث، أغلق المكالمة قبل أن أنتهى ليتواصل مع أحد أصدقائه ليحجز له مكانًا في طائرة ليأتي لمصر.

لم يتكلم هو وأمي مطلقًا ولكنني أعلم أنهم كانوا يتطوقون لذلك، كانت السعادة تطغي عليهم، ولكن لم يبادر أحد منهم بمحادثة الأخر، فالعشرون سنة الماضية كانت كفيلة أن تبني بينهم حائطًا من الخجل كما فى بداية العلاقة، لم يكن الأمر سهلًا عليهم، رغم فرحة أمي بأن أبي على وشك القدوم كانت خائفة من مواجهته، وربما كانت خجلة من موقفها ومن براءته ولكن كان الأمر بمثابة المتعة من قِبَلِي أنا. هاتفني أبي في اليوم الثالث من مدة إقامتي بمصر ليقول أنه حجز طائرة بعد يومين وبعد يومين سيكون ماثل أمام عيني أمي، طلب أن يهاتف أمي فأعطيتها الهاتف دامت المكالمة ساعتين ونصف وربما أكثر،

عادت والدتب فتاة ذات الثانية والعشرون من عمرها وبدت عليهم الفرحة فعمت على قلبي أنا الأخرى.

بينما كنت أسترجع ذكريات طفولتي التي تدور بأكملها حول أراس، فكل ركن من أركان غرفتي يذكرني به، سخطت على القدر وكيف فرقتنا الأيام، كنت أتمنع عن مهاتفته بجهاد نفس عميق، اشتقت له و لحكاياته، لصوته الشجيّ، لضحكته، مر الليل وأنا غارقة بين تلك الذكريات التي لم تجلب لي سوى الحزن فقط.

استيقظت على اتصاله، هل ما زلت أحلم، لقد محوت رقمه ليس مسجل ضمن جهات اتص إلى ولكنني كنت أعلمه عن ظهر قلب، استغربت قليلًا وملأت السعادة جوفي و ما كان مني إلا وأجبته.

-ألين، ...هل تسمعني؟

أجل ولكنني شردت قليلًا.

كنت أتأمل صوته ونبراته دون إبداء ردة فعل ولا إصدار صوت لي

-أعلم أنكِ لست راضية عني ولكني أردت فقط أن أشكركِ على ما فعلتيه مع أمي أمس.

لم أفعل شيء يذكر، العفو.

صمتنا برهة لم أكن أريد أن أنهي المكالمة فلعلها الأخيرة فسألته عن والده وعن ما حدث أمس بعد رحيلي، دامت المكالمة الهاتفية عشرون دقيقة وثلاث ثوانٍ.

ثم تفاجأت بأمي تطرق باب الغرفة تستأذن لتدعوني للإفطار، البيت.

****

أراس

بعد ما رحلت إلين من مع والدتها، ذهبت لأتفقد أمي رأيتها في أسعد حالاتها مما أنها كانت تحمد الله وتشكره، وعندما رأتني فتمت لي وراعيها لتضمني وضمتني لمنكبيها ومسحت بأناملها الناعمة على شعري فأخذت رحلة حنان بين أضلعها، استغرقت الرحلة طيلة الليل ومن ثم استيقظت باكرًا الساعة السادسة صباحا لأجد الطبيب صرح لنا

بالخروج وجدت نفسي أهاتف إلين وبينما كنت أتأمل صورتها خلف الاتصال أفكر بما سأقوله إن أجابت، دامت المكالمة عشرون دقيقة وثلاث ثوان كنت أتمني لو طالت أكثر وتفاجأت ليلا باتصال منها فأجبت مسرعًا.

****

(٨)

ألين

سيأتي أبي غدا مر اليوم الأول في تنظيف المنزل صالونات التجميل والتسوق ومن ثم عدنا للبيت ثانية في تمام الساعة العاشرة ليلًا، لم أستطع النوم فهاتفت أراس لم أكن أعلم لماذا أهاتفه ولكني كنت أود سماع صوته.

-أراس، كيف حال والدتك الآن؟

في الحقيقة كنت أريد أن أسأله عن حاله هو ولكنني لم أستطع.

بخير، وكيف حالك أنتِ

-بخير، غالبا

غالبا!!

-أجل

لما لست بخير فقط

_لا أعلم

إذا فلنقوم بشيء يجعلكِ بخير

-وما هو؟

سأروي لكِ قصة.

عندما كنت أحزن في الماضي كان يروي لي قصة مبهجة وأكون حينها في قمة سعادتي، وبدأ يروي القصة، لم أستمع جيدا لأجزاء للقصة كنت أنصت لصوته ولنبراته المتغيرة من شخصية لأخري و ثغري مبتهج.

استيقظت على صوت أبي لقد عاد الساعة أصبحت الواحدة ظهرا لقد أضعت مشهدا لن يتكرر ولن أراه حتي في الأفلام الرومانسية هذه اللحظة هي لحظة لقاء أمي وأبي، كانت والدتي غابة في التوتر فعند الغداء كانت تضع مزيجا من الطعام والكثير والكثير من الطعام الغير مرغوب فيه، الحب والإشتياق والسعادة مجتمعون في آن واحد، فعزمت على الخروج من البيت كي لا أكون عائقا أمامهم.

في الحقيقة كنت أود أن أذهب إلى لينتادا ولكنني كنت خائفة من تكرار ما مضى، ولكني ذهبت واحتسيت القهوة لطالما اشتقت لمذاقها من هنا لا أعلم كيف هاتفت أراس ولكن صوته بدا عليه الذعر و القلق.

أراس

في اليوم الت إلى استيقظت لأجد أمي مازالت نائمة فلم أيقظها، أعدت الفطور ومن ثم ذهبت لأناديها وإذ هي أشبه بالميت، فهاتفت الطبيب ولحين ما جاء الطبيب كنت ملقي نفسي بين زراعيها و أترجوها أن تستفيق، جاء الطبيب وأحضر سيارة إسعاف ومن ثم نقلت أمي إلى المشفى، هاتفتني إلين حينها وقولت لها أنني في طريقي للمشفى ومن ثم جاءت مهرولة بصوت مفعم بالهلع.

_ماذا حدث، أنت بخير؟

نظرت لها برهة ولم أتمالك نفسي بعدها فانفجرت بالبكاء

ربتت على يدي وأخبرني حينها أن كل شيء سيكون على ما يرام أخبرتني أنها معي، وستكون أمي على ما يرام، وكلما كانت تقول جملة كانت عبراتي تنهمر أكثر فأكثر.

وبعد ما يقرب بخمسة دقائق سمعت الطبيب يقول:

_فقدنا المريضة

جف الدمع من مقلتيّ وتجمد لساني فلم أنطق بكلمة واحدة ولم أستطع تحريك قدمي خطوة واحدة، فسقط أرضا ولكني بوعي أسمع من حولي كنت أستمع لبكاء إلين وبمقدار الآلام التي بداخلي لم أقدر عن البوح عنها وإبداءها، لا أعلم كم مر من الوقت وأنا هكذا وبعدها أمسكت إلين بذراعي لأترجل أرضا، وجعلتني أسير معها إلى سرير أمي، كانت مغطاة الوجه، لم أتجرأ على رفع الغطاء عن وجهها، فسارعت إلين وأزالت الغطاء عن وجهها، وعندما رأيتها بدأت جبال الجليد تذوب من عينيّ، ووقفت أمامها أنظر لها وأبكي فقط، كنت أريد أن أحتضنها مثلما أفعل، ولكن كيف أحتضنها ولن تبادلني هي الحضن ذاته، كيف سأودعها ولن تمسح بأناملها الرقيقة شعري، بقيت أنظر لوجهها حتي ترسخت جميع أنحاء وجهها بخاطرى وتأبدت بعقلي وطبعت بداخلي، وإذ أتوقف عن البكاء فتجذب إلين يدي لوضعها على يد أمي فأصرخ وأتوجع وأحتضنها وإذ بالأطباء يقولون لا تضغط عليها وبدؤوا يقصوني بعيدا عنها ولكنني لم أتركها.

كيف لي أن أتركَكِ يا أمي وأنا على علم أنني لو تركتكِ فلن أراكِ مرة ثانية، لم أستكفي منك بعد، كيف تتركيني بهذه السرعة، كيف سأعيش بدونك ومع من، يا أمي مازال وقت الرحيل بعيدًا، كيف تكونين معي اليوم و الغد لا.

كنت أشبه بالطفل الصغير الذي لا يريد البعد عن أمه، لم أستطع استيعاب فكرة موتها، كنت أطمئن داخلي أنني داخل كابوس وسأستفيق حتمًا، أن تركيني بهذه السرعة يا أمي.

بعدها حان وقت الفراق رؤيتها لآخر مرة وبعدها سيتوارى جسدها بالتراب، ذكريات ذلك اليوم الأسود عالقة برأسي و حتى الآن تمزقني إربًا إربًا

جاء من جاء ورحل من رحل ولم تأتي أمي، فقط رحلت.

مصيبة الموت..

"الموت أقرب شخص منك، لا نعلم من الت إلى ، فاستعد للقائه، فلن يطرق الباب ويستأذنك قبل مجيئه إليك"

****

ألين

ذهبت إلى أراس لأجد الحزن تمكن منه، حين رأني بدأ ينطق بجمل كادت تهلك قلبي، لم أكن أعلم بماذا سأجيب عليه وما الذي سأقوله، قربت يدي من يديه وبدأت أنا الأخرى أتمتم بعض العبارات التي أجهشته بالبكاء، لم يبكي أراس هكذا من قبل، لم أره في هذه الحالة سابقًا، واسيته بقدر ما استطعت، أبكمت جراحي وتفرغت لمواساته.

عندما تلقي أراس خبر وفاة والدته كانت إيماءات وجهه متجمدة، خشيت أن يفقد النطق أو أن يصاب بنوبة اكتئاب فحاولت أن أجعله يذرف الدمع بشتى الطرق.

بينما كان أراس يرى أمه للمرة الأخيرة، حادثت أمي كي أخبرها، ف أتو إلينا ومن ثم بعدها شيعنا الجنازة ومن ثم ذهبنا لمنزل أراس، كي لا يبقي بمفرده.

وبينما كنا في العزاء، أتت أسيل وعندما رأيتها تجمعت الألآم بداخلي وتذكرت ما حرصت على نسيانه طوال الأشهر الماضية، هربت من

محادثتها والاختلاط بها قدر استطاعتي ولكن محاولاتي باءت بالفشل جميعها، فجاءت إلى وطلبت أن تحادثني بشيء هام، فرفضت بقولي أن الوقت ليس مناسبًا للتحدث، فقالت أنه هام جدًا وطلبت أن نلتقي غدًا، فوافقت.

حاولنا مرارًا أنا ووالديّ أن نجعل أراس يخرج من قوقعته الجاثي بداخلها(غرفة والدته)، ولكنه لم يجب علينا في كل مرة، مكثنا معه في بيته في هذا اليوم.

لم أستطع النوم، فذهبت لأجعله يفتح باب الغرفة لعله يستجيب هذه المرة.

_أراس، أعلم أنك تسمعني، إن لم تفتح لي الباب سأنام أمامه، أقسم بذلك.

وبالفعل جسلت أمام باب الغرفة وتهيأت للنوم.

وبعد برهة فتح الباب، وتركه مفتوحًا ولم ينطق بحرف واحد، دخلت وراءه لأجده جالس بحوار النافذة ويربتُ على يده اليُسرى شالا لوالدته، فقولت له:

_سأضع لك شيئًا لتأكله، فلم تأكل شيئًا منذ أمس.

لم يجب ولم ينظر إلى وكأنني أحادث نفسي،

_حسنًا، لا تغلق باب الغرفة، سأتي بعد قليل.

أحضرت له الطعام وذهبت إليه

عندما فتح لي باب الغرفة في المرة الأولى لم أنظر لوجهه بتمعن ألقيت نظرات عابرة ومن ثم غادرت ولكن في المرة الثانية التفت لي لينظر للطعام الذي أحضرته فرأيت عينيه الدموية التي أتلفها الحزن والسواد المجاور لها من كل اتجاهاتها مع امتزاج السواد بشيء من الزرقة، لم أتمالك نفسي فتساقطت عبرات عيني وفقدت السيطرة عليها، فنظر لي نظرة واحدة ومن ثم غرق بصمته وصوب عينيه خارج الشرفة مجددًا، وضعت ما بيدي من طعام على الفراش وجلبت كرسيًا وجلست موازية له.

_أراس أ...

ليقاطعني ليقول بصوت مفعم بالحزن:

بقيت لوحدي مجددًا، فقدت أبي، وبعده أنتِ، وها فقدت أمي، الآن تمزقني وحدتي إربًا إربًا.

فربتُ على يديه اليُمنى لأقول:

_ولكنك لم تفقدني بعد، ما زلت هنا، أنا معك يا أراس.

نظر إلى وكأن عينيه تقول لي"لا تواسيني أعلم حقيقة الأمر جيدًا".

طلبت منه أن يأكل شيء ولكنه أبي وبعد محاولات ربما تخطت المليون اضطر أن يرتشف رشفة من كوب الماء فقط.

عند الساعة الثالثة فجرًا قال أنه سيخلد للنوم فودعته لأذهب لكي أنام أنا بغرفته وينام هو بغرفة والدته، ووالدي ووالدتي كانو ينامون بغرفة مجاورة لغرفة أراس.

وعندما استيقظت صباحًا وجدت ست مكالمات فائتة لأنظر لأجدها أسيل، ومن ثم أتفقد الساعة لأجدها أصبحت الحادية عشر والنصف، كنا سنتقابل الحادية عشر.

فهاتفتها لأقول:

_أعتذر، لم أستيقظ سوى الآن.

أنتظرك في لينتادا، لا بأس.

_لينتادا!!

ساد الصمت قليلا ومن ثم قلت لها :

_حسنًا، سأرتدي وآتي لكِ في الحال.

ذهبت لها وقصت لي كل شيء عن تلك اللعبة التي حاكها أراس، علمت أنه أراد أن يرافقها كي ينسى حبه لي.

بدأت أن أستجمع ما هو الحب وماهيته.

الحب لا يعني أي شيء سوى التفاهم والثقة في من تحب، لو أنني طلبت من أراس شرحًا مفصلًا لما حدث، و لو أنني استمعت له لكان كل شيء

مختلف الآن، و لو استمعت أمي لأبي منذ المرة الأولى لما طال الفراق ودام عشرون سنة.

تعطينا الحياة فرصة لكي نستجمع ما حدث، إذا أضعناها فعلينا وعلى قلبنا السلام لحين قدوم الفرصة الثانية التى من المحتمل ألا تأتي.

لن نمتلك الشيء سوى بإعطائه لمحتاجه، لا أستوعب فكرة أن فاقد الشيء لا يعطيه، ففاقد الشيء، هو معطاء له، فعلينا أن نبادر بإعطاء الفرص إن كنا نريدها.

ولكي نرى الأشياء كما تبدو وليس الظاهر لنا، علينا أن نهم بمعرفة الحقيقة.

عدت لأراس والفرحة تعم قلبي، تكاد أوردته أن تجتاز ضلوع صدري لتخرج خارجه.

ذهبت لأجده ما زال نائمًا، وأمي وأبي يطهوان الطعام، وطلبا مني أن أذهب لأيقظ أراس، فذهبت لأجده نصف نائم ونصف مستيقظ.

ناديته ولكنه لم يجب، فجلبت الوسادة وألقتها عليه ليزيل الغطاء عن وجهه ويقول:

_لن أستيقظ الآن.

ولكنكَ مستيقظ بالفعل.

_لا لست كذلك.

إذا لن أغرب من هنا.

فهَمّ لينام، ففتحت النافذة لتسطع الشمس في عينه الخضراوتين.

بصوت ممتلئ بالنوم وبعينين نائمتين:

_حسنًا، أستسلم، ماذا تريدين.

أريدك أن تستيقظ.

_لماذا؟

لأنني أريد.

علمت أنني لو تفوهت بكلمة الطعام فلن ينهض.

_لا أعلم كيف يتم مجاراتي ولكنني سأنهض، بالله كيف تفعلين هذا!

استطعت أخيرًا أن أجعله يتجاوز باب الغرفة، ومن ثم تناولنا الطعام لم يتناول شيئا يذكر ولكنه على الأقل حاول.

بعدها أعدت القهوة لجميعنا وذهبنا لشرفة المنزل كي نحتسيها معًا كما في السابق.

أراس، أنا سعيدة حد السماء باستعادتك نفسك مجددًا، أعلم أن بداخلك الكثير والكثير من الحزن ولكن يبدو لي أنك أفضل من الأمس بكثير، أليس كذلك؟

_أجل، كذلك.

مر اليوم بتقلبات مزاجه فتارة صامت وتارة يحاول العيش وتارة يائس من العيش بعد والدته.

في المساء غادرنا وتركناه لكي يمهد لحياته الجديدة ولكي يؤنس وحدته بمفرده ليتأقلم على وضعه الجديد، وبالرغم من أنني لم أكن بجواره ولكنني كنت معه على الهاتف ولم أتركه لحظة تذكر.

في اليوم الرابع من وفاة والدته، طلبت منه أن نلتقي فوافق وقال أنه سيأتي ليأخذني لنتقابل بلينتادا.

جاء ومن ثم ذهبنا إلى هناك، طلب لي الطعام المفضل لي كالعادة لم ينساه وهذا الشيء غمرني بالسعادة حد السماء، وبعدها طلب لنا القهوة، وبينما كنت أرتشف أواخر كوب القهوة، قولت له.

_أراس، هل يمكنني أن أسألك شيئا.

=بالطبع.

_لعنتي ماذا حدث بها؟

ابتسم لتظهر أسنانه البيضاء المتناسقة ليقول:

=لعنتكِ!

ليكمل...

=لعنتكِ رافقتني في كل أوقاتي يا إلين.

ليزداد وجهي احمرارًا وأشيح بصري عنه، ليقول هو:

=دعيني أسألكِ أنا سؤالًا.

_وما هو!

=وماذا بعد لعنتكِ يا إلين؟

_حبي لكَ.

=ماذا!!

اتسعت حدقة عينه وتزايدت ضربات قلبه حتى أنني شعرت أن ضلوعه ستلقي بقلبه خارجًا فقولت له مسرعة:

أنا أحبك يا أراس.

أظنها مِتّ.

***

عزيزي القارئ ...

ليس كل تراه لوهلة حقيقة، فهناك حقيقة تكمن خلف الثواني والدقائق التي نجهلها نحن.

ولكي تدرك الحقيقة يلزمك مجابهتها وألا تتسرع بالحكم قبل أن تدركها حق ما هي.

وقبل البعد أو الهجر، تأكد أنك قد علمت الحقيقة كاملة.